الزواج عند العرب في العصر الجاهلي بين الروايات التاريخية والمصادر الأدبية: دراسة مقارنة

د. عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

تمهيد:

لا يخفى على متصفح تاريخ العرب في العصر الجاهلي مدى ما لحق به من خلط في كثير في أحداثه التاريخية، من مبالغات في بعض أحداثه تصل إلى درجة الخيال، في مقابل أحداث أخرى لحق بها الإهمال والتقصير بقصد أو بدون قصد خلال فترة تدوينه، وقد نال الجانب الاجتماعي لتاريخ العرب في العصر الجاهلي النصيب الأوفر من هذا الخلط متأثراً بالروايات الاجتماعية السائدة في الزمن المدون للحدث، أو التي نقلت إليه شفوياً، وقام المؤرخ بتسجيلها مع الأحداث المعاصرة له، ووفق معايير دينية وسياسية متأثراً بها في أغلب الأحيان، وقد نال تاريخ المرأة العربية نصيباً وافراً من هذا الخلط والإهمال، مما أعطى صورة قاتمة للمرأة العربية في العصر الجاهلي في كثير من الأحيان، وتناقل الإخباريون ما رسَّخ هذه الصورة في الأذهان، فبدت المرأة مؤدة في طفولتها، مقهورة في شبابها، مهملة إذا تقدم بها العمر [1]، واعتبرت قاصرة عن حماية نفسها في مجتمع لا حق لها فيه إلا ما يفرضه القوي على الضعيف، وبالإجمال فقد كان وضعها في ذلك المجتمع سيئا[2] ، ومن أشهر تلك الأوضاع التي حفلت بها المصادر التاريخية، واشتهرت ظاهرت وأد البنات التي مارسها الآباء بتعسف، كذلك إهدار حقوق المرأة في الزواج والطلاق والميراث، وفي اختيار الزوج [3] . وإذا ما تتبعنا تلك المصادر نجد أن هناك صورة أخرى للمرأة العربية في الجاهلية، فجعلوا مركزها الاجتماعي يرتبط بمركز الرجل نفسه، تهون إذا هان، وتعز إن عز، فهي للرجل الأم والبنت والأخت والزوجة، والرجل بالنسبة لها الأب،

---

[1] محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة ، (الإسكندرية، ١٩٨٨م)، ص١٠ .

[2] محمد مبروك نافع، تاريخ العرب، ط ٢ (القاهرة ١٩٤٩م)، م١/ ١٧٣-١٧٤.

[3] Nicholson, R.A.: History of Arab, Campridge ,reprinted, 1988, 86.

والابن، والأخ، والزوج [٤]، كما نقلت لنا الأخبار انه وكما كانت هناك عادة حرمان المرأة من حق اختيار الزواج كانت هناك أسر تعطي المرأة حق اختيار زوجها [٥]، وأن هناك من النساء من كن يخرجن من بيت الزوجية والعودة إلى بيت والديها إن لم تشعر بالسعادة الزوجية دون الحاجة إلي موافقة الزوج [٦] .

وفي الواقع فقد حظيت المرأة العربية بمكانة اجتماعية مرموقة، ونُظِرَ إليها نظرة تقدير واحترام، رغم أن – الرجل – الممثل في الأب هو رب الأسرة، وصاحب السلطة المطلقة على العائلة [٧]، فيما أطلق عليه أسرة الأبوة [٨]، فقد احتفظت المرأة بمكانتها ، كما أكد لنا ذلك الشعر العربي القديم، فهي الحبيبة التي تغزل فيها، ووصف تلاقيهما، وتفجع لفراقها، ووقف على الأطلال يبكي رحيلها، وكانت مصدر إلهامه، وكيف كان لابد للشاعر أن يتحدث عن حبيبته في مستهل قصيدته، أو ذكر المرأة، فالقصائد عند شعراء الجاهلية تسير في كثير من الأحايين على منهج واحد، فتبتدئ بالتشبيب بالمرأة ، علاوة على الكثير مما نقلته لنا المصادر التاريخية عن أخبار المرأة، ودورها في الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي القديم، حيث التقت المصادر التاريخية مع المصادر الأدبية، فكان الشعر الجاهلي – أو الشعر العربي القديم – صورة صادقة في وصف حياة العرب الاجتماعية في العصر الجاهلي [٩]، حيث ارتبط بحياتهم، وسجل عاداتهم وتقاليدهم، وأيامهم، وبطولاتهم ومعاهدات الصلح بينهم، وسجل صفاتهم من كرم، وشجاعة، ووفاء، وغيرها، وكان مرآة صادقة

---

[٤] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ١٠ .

[٥] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٣، (بيروت ، بغداد، فبراير ١٩٨٠م) ، ٥/ ٥٣٢

[٦] Philip Hitti, History of Arap, London, 1964, 21.

[٧] شكران خربوطلى، سطور منسية في تاريخ الحجاز، الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام، دار رسلان للطباعة والتوزيع والنشر، (دمشق، ٢٠٠٥م)، ص ١٥٥ – ١٥٦.

[٨] سبق أسرة الأبوة – التي كانت سائدة في مجتمع الجاهلية عند ظهور الإسلام – أسرة الأمومة، يوم كانت المرأة محور الحياة الاجتماعية، وكان لها الدور القيادي في الاقتصاد، وفي الهيئة الاجتماعية، وينتسب إليها الأولاد، ونستنتج ذلك من مسميات بعض القبائل العربية قبل الإسلام، والتى كانت تنسب إلى أمهاتها دون آبائها، ومن أمثال ذلك بنو خندف وبنو بآهلة، إلا أن سلالة الأنساب العربية اعتمدت على النظام الأبوي، حيث تطور النظام الأسرى، وصار الأب رب الأسرة، وهو النظام الذى أعقب النظام التوتمى، كما أثبتت الحقائق العلمية. انظر: أحمد ابن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قمحيية ، (بيروت، بدون تاريخ)، ٣/ ٢٩٦–٣٠٤ ؛ توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط١، (دمشق، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م)، ص ٦١؛ شكران خربوطلى، المرجع السابق، ص١٥٥.

[٩] الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزنى، شرح المعلقات العشر، (بيروت، ١٩٧٩م)، ص ٨ .

لعواطف الشعراء، وما تجيد بهم مشاعرهم ، هكذا لم يكن الشعراء العرب بعيدين عن تسجيل أحداثهم الحربية، والاجتماعية، والدينية ، وأصبح الشعر منهلا خصباً لتاريخ العرب القديم ، أستشهد به المدوِّنون الأولون للمغازي والسير، وكذلك استعان به كتاب التفسير والحـــديث ، إذا ما واجهتهم مسألة فيها شيء من الغموض عن أخبار العرب في العصر الجاهلية، لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله، فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب. وذكر عنه أنه ما فسَّر آية من كتاب الله – عز وجل – إلا استشهد ببيت من الشعر[١٠].

إن الشعر كان سجلاً حافلاً بأخبار العرب ومصدراً يوضح خواص العصر الجاهلي، ويصف الحياة الجاهلية وأفكارها [١١]، وأن روح الشعر لا تتألف في تدوين التاريخ من خيال يطوف في الفضاء، ولكنها تتألف من خيال يقتفى أثر الحقيقية [١٢]. وفي المصادر الأدبيـــة العربية نصيب وافر عن الزواج [١٣] عند العرب بما سطره الشعر العربي الذي يُعَدُّ مـــرآة

---

[١٠] التبريزى، شرح الحماسة ، (القاهرة، ١٩٩٧م) ، ص ٧ – ٨ .

[١١] يشير نيكلسون أستاذ تاريخ الأدب العربي في جامعة كمبردج في كتابه " تاريخ اللغة العربية "، إن مزايا العصر الجاهلي وخواصه مرسومة صورها بأمانة ووضوح في الأغاني والأناشيد التي نظمها الشعراء الجاهليون .. كما يمكننا من خلال الأدب الجاهلي المنظوم فيه والمنثور أعطاء تصور للحياة العربية في تلك الأيام القاسية أقرب ما يكون إلى الدقة في مظاهره الكبرى. انظر: الحسين بن احمد الزوزنى، المرجع السابق ، المقدمة ، ص٦.

[١٢] إيمرى نف، المؤرخون وروح الشعر، دراسة لإسهام الأدب والعلوم الأدبية في تدوين التاريخ منذ عهد فولتير، ترجمة توفيق إسكندر ، ط٢، (بيروت، ١٩٨٤م). ص ٢. والعبارة لجورج ماكولى تريفيليان واسترشد بها إيمرى نف، أما العبارة كاملة فهي، لا تتألف روح الشعر في تدوين التاريخ من خيال يطوف في الفضاء، ولكنها تتألف من خيال يقتفي أثر الحقيقة، ويلتصق بها، وبالنظر إلى أن الحقيقة قد وقعت فعلاً فإنها تجمع حولها سر الحياة والموت والزمن الذي لا يُسبر غوره، فعلم المؤرخ وبحثه يجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان مدلولها. انظر: نفس المرجع والصفحة .

[١٣] يعرَّف الزواج بوجه عام أنه علاقة جنسية مقررة اجتماعياً بين شخصين أو أكثر، ينتميان إلى جنسين مختلفين، ويُتوقَّع أن تستمر لمدة أطول من الوقت الذي تتطلبه عملية حمل وإنجاب الأطفال، وتكاد تكون العلاقة الثابتة هي أهم ما يميز الزواج في مختلف الثقافات، طالما أن الزواج لا يتساوى في امتداده مع الحياة الجنسية، وطالما أنه يستبعد علاقات البغي والزنا، وأي نوع من العلاقات الجنسية العارضة، أو التي لا يقرها القانون، أو العرف، أو الدين، أو هو مؤسسة اجتماعية، أو مركَّب من المعايير الاجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة، ويفرض عليها نفقاً من الالتزامات والحقوق المتبادلة، الضرورية لاستمرار حياة الأسرة، وضمان أدائها لوظائفها، ويعتبر حفل الزواج إعلاناً يعترف بمقتضاه كل من الزوج والزوجة بمكانته الجديدة

صادقة للحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، حيث صوَّرها بصدق، وبتلقائية، وبغير تصنُّع، فتحدث الشعراء عن العلاقات الأسرية، وعن جوانب مهمة في وصف الزواج، واختيار الزوجة ، وعادات الخطبة، وتأثير العادات والتقاليد في علاقات الزوجين في الكرم وفي البخل، كما وصف الشعراء الغيرة والعفة والخيانة، وتحدثوا عن المحارم، ووصف المرأة المطلقة، والأرملة، كما تحدثوا عن الزواج وتقاليده. [١٤] لذلك كان للأدب عموماً وللشعر خصوصاً وجوده المؤثر والفعال خلال الحديث عن مراحل الزواج وأنواعه، والخطبة، والمهر وغيرها، حيث يُعَدُّ الزواج من أهم النظم الاجتماعية للمجتمعات البشرية، فهو رابطة تقوم بين رجل وامرأة، ينظمها القانون أو العرف، ويحل بموجبها للرجل (الزوج) أن يطأ المرأة ليستولدها، وتنشأ عن هذه الرابطة أسرة، تترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والأولاد، والغاية منه استمرار الحياة في الإخلاف [١٥] .

وأحاول في هذه الدراسة أن أوضح حقيقة العلاقات الأسرية عند العرب في العصر الجاهلي من خلال نظام الزواج والأمور المرتبطة به، مستعيناً في ذلك بالروايات التاريخية والمصادر الأدبية، حيث حظيت الأسرة في المجتمع العربي بقدسية بالغة .وسوف تعتمد هذه الدراسة على منهج المقارنة بين الروايات التاريخية والروايات الأدبية – لاسيما الشعرية منها – بالدراسة، والاستقراء، والتحليل، والمقارنة، لتخرج في نهاية المطاف إن شاء الله، بصورة متكاملة عن ماهية الزواج عند العرب في العصر الجاهلي من خلال المصادر التاريخية والأدبية.

الزواج عند العرب في العصر الجاهلي:

تعددت أنواع العلاقات بين الرجل والمرأة عند العرب في العصر الجاهلي، ولكن كان الزواج هو الأصل، والذي عرف عندهم بزواج البعولة [١٦]، وهذا الزواج المألوف لدى

في المجتمع، وهي التي تكتسب من خلال التعاقد بينهما الذي يلقى كل التدعيم الاجتماعي. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، (الإسكندرية، د.ت)، ص٢٧٨– ٢٧٩.

[١٤] أحمد محمد الحوفى، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، (القاهرة، ١٩٧٢م) ، ص٢١٩–٢٢٩ .

[١٥] عبد السلام الترمانينى، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، دراسة مقارنة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٨٠)، (الكويت، ذو القعدة ١٤٠٤هـ/ أغسطس ١٩٨٤م)، ص ١٥.

[١٦] البعل، الذكر من النخل، والبعل، الزوج، والجمع " بعَال وبُعول وبُعُولَةْ، قال الله عز وجل، " وبعولتهن أحق بردهن "،سورة البقرة آية:٢٢٨ ، وفي حديث ابن مسعود، " إلا امرأة يئست من البعولة ". قال ابن الأثير،

العرب في العصر الجاهلي، وهو مماثل لزواج اليوم، أي الزواج القائم على الخطبة والمهر، وعلى الإيجاب والقبول، وهو ما يسمى بزواج البعولة، وهو زواج منظم، رتب الحياة العائلية، وعيَّن واجبات الوالدين والبنوة، وهو الزواج الذي أقره الإسلام، ويكون الرجل بموجبه بعلاً للمرآة، ومسؤولا عنها وفي حمايته وفي رعايته [١٧]، ولمس في الزواج تقريب للبعيد، وفي المصاهرة يصبح العدو صديقاً، كما وجد في الزواج واحد من أهم أسس تأليف القبائل .

الخطبة :

كان أمر الزواج أن يبدأ بالخطبة، ولابد للزواج من أن يكون برضى الطرفين، وبموافقتهما، وبموافقة الوالدين أو المتولي للأمر، ولولي الأمر إجبار البنت على الزواج بمن يريده، أو يوافق عليه لأن يكون بعلاً لها، وليس لها مخالفته، وقد يسمح لها بإبداء رأيها في الزوج وفي الزواج، وعادة ما يكون ذلك في الأسر صاحبة المكانة الاجتماعية المرموقة في المجتمع ، وعند الأباء الذين ليس لهم من البنات غير واحدة أو اثنتين، أو عند وجود دالة، أو مكانة خاصة للبنت عند ولي أمرها [١٨] .

ولقد كان العرب يخطبون المرأة إلى أبيها، أو أخيها، أو عمها، أو بعض بني عمومتها، وكان يخطب الكفء إلى الكفء، فإن كان أحدهما أشف من الآخر في الحسب، أرغب له المهر.وإن كان هجيناً خطب إلى هجين، فزوجه هجينة، فيقول الخاطب إذا أتاهم:" أنعَموا صباحاً" ثم يقول:"نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبةً وأصبتموها، وكنا لصهركم حامدين ، وإن رددتمونا لعلّة نعرفها رجعنا عاذرين" [١٩] .وقد

الهاء فيها لتأنيث الجمع، قال، ويجوز أن تكون البعولة مصدر بَعَلَت المرأة، أي صارت ذات بَعْل.. وبَعَل يَبْعَلَ بُعُولةً. وتَبَعَّلَت المرأة، أطاعت زوجها، وتبعلت له، تزينت، وامرأة حسنة التَّبَعُّلِ، إذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له. انظر: أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ط٣ ، (بيروت ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ، ١١/ ٥٨.

[١٧] جواد علي، المرجع السابق، ٥/ ٥٣٣ .

[١٨] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٢٧.

[١٩] ابن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المُحَبَّر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، اعتنت بتصحيحه إيلزه لختن شتيتر، (القاهرة، (ب ت))، ص٣١٠-٣١١.

حرص العرب على المنكح الكريم، فعن أكثم بن صيفي قوله، المناكح الكريمة مدارج الشرف. [٢٠]

وكما تحدثت المصادر التاريخية عن الخطبة عند عرب الجاهلية، تحدثت المصادر الأدبية أيضا، فقد جاء عند ابن قتيبة أنه كان بعض نساء العرب يرفضن أن يتزوجن من غير أبناء عمومتهم، وحتى لو كانوا من سادات العرب .فهاهي الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد، خطبها دريد بن الصمة من بني جشم، بعد أن رآها تهناً إبلاً لها (أي تطليها بالحناء " الهناء ") فهويها، فردته وقالت له : أتراني تاركة بني عمى كأنهم عوالي الرماح، ومرتشة شيخ بني جشم. وفي ذلك يقول دريد بن الصمة:

حيوا تماضر واربعوا صحبى

وقفوا فإن وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم

وأصابه تبل من الحب [٢١]

فابن العم مقدم على أي شخص يتقدم لخطبة امرأة، وربما يصل الأمر الي سؤال الخاطب لابن عم المرأة التي يرغب خطبتها إذا كان له رغبه فيها قبل التقدم لها، فإذا كان راغب فيها تزوجها، وإن لم يكن راغبا فيها تزوجت بغيره، وقد ترفض بنت العم الزواج من ابن عمها، الأمر الذى يؤدي عادة إلي نشأة المنازعات، والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى إراقة الدماء [٢٢].

وقد استفاض الشعر العربي بأخبار خضبت النساء، ومهروهم فها هي ماوية بنت عفزر – أبنة أحد ملوك اليمن – يتقدم إلى خطبتها ثلاثة من سادات العرب حاتم الطائي، والنابغة الذبياني، ورجلاً من النبيت فجعلت من أجل موافقتها على خطبة أحدهم شرط اجتياز تحدى بينهم. قائلة لهم : انقلبوا إلى رحالكم ، وليقل كل رجل منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني متزوجة أكرمكم وأشعركم، فانطلقوا، حتى إذا ما انتهى رهانهم، اختارت حاتم الطائي ليكون زوجاً لها.

---

[٢٠] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٩/٤

[٢١] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق محمود شاكر، ط٣،(القاهرة ،١٩٧٧م)، ٣٥٠/١ .

[٢٢] حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ط١، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ١٤٠.

وفي ذلك يقول حاتم الطائي:

أماوى إن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

أماوى إما مانع فمبين
وإما عطاء لا ينهنهه الزجر

وفي قصيدة أخرى،

وإني لمزجاء المطي على الوجي
وما أنا من خلانك ابنة عفزرا

فلا تسألين واسألي، أي فارس ؟
إذا الخيلُ جالتْ في قنا فد تكسرا[٢٣]

وورد أيضا أن المرأة إذا تعسر عليها وجود خاطب، وكانت ترغب في الزواج، ظهرت وقد نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للمعهود، كما تقوم بتحجيل إحدى رجليها، وعادة ما يكون ذلك ليلاً وقبل الصباح وتقول، يالكاح ابغى نكاح ! فيعرف أمرها وتتزوج عن قرب .

وأنشد رجل يصف أم صديقة تفعل ذلك :

أما ترى أمك تبغي بعلاً وقد نشرت من شعرها الأقلا
ولم توف مقلتيها كحلا ترفع رجلاً وتحط رجلا
وقد شاب بنوها أصلا وأصبح الأصغر منهم كهلا

وقال آخر،

تصنعي ما شئت أن تصنعي وكحلي عينيك أو لا !فدعي !
ثم أحجلي في البيت أو في المجمع مالك في بعل أرى من مطمع

وقال آخر،

قد كحلت عيناً وأعفت عينا وحجلت ونشرت فرينا
تظن زيناً ما تراه شينا [٢٤]

[٢٣] ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ١/ ٢٥٣

وكما كان هناك نساء من العرب في العصر الجاهلي يـرغبن الـزواج، ويعرضـن أنفسهن، كانت هناك نساء يتعففنا عن الزواج، ويعتبرنه عبودية للرجل، ويفضلنا البقاء دون زواج، كما جاء عن الزباء بنت عمير بن المورق وقد لامها الناس بعـد أن كبـرت، ولـم تتزوج، وإنها لم تذق لذة الحياة فأنشدت :

أمن بعد أن أمسي حرة وليس علي للرجال يدان

أصير لزوج مثل مملوكة له لبئس أذا ما يكتب المكان [٢٥]

وقد لعب الشعر دوراً بارزاً في الترويج لخطبة البنات وتزويجهم عند عرب العصر الجاهلي، فقد مدح الأعشى رجلاً اسمه المحلّق، حين قدم الأعشى إلى مكة، وتسامع النـاس به، فأشارت امرأة المحلق عليه أن يسبق الناس إلى ضيافته ، ففعـل واسـتجاب الأعشـى لدعوته، فنحر له المحلق وسقاه، وبالغ في إكرامه ومن معه، فسأله الأعشـى عـن حالـه وعياله، فعرف البؤس في كلامه، وذكر البنات، فقال الأعشى، كُفيت أمرهن. وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته التي يقول في مطلعها :

أرقت .. وما هذا السهاد المؤرِّقُ

وما بيَ من سُقْم وما بيَ معَشْقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس، فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله، إلـى أن سمعه يقول،

نفى الذمَّ عن آل المحلَّق جفنة

كجابية السَّيْحِ العراقي تَفْهَقُ [٢٦]

ترى القوم فيها شارعين، وبينهم

مع القوم ولداتُ من النسل دَرْدَقُ [٢٧]

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة

إلى ضوء نـار بالبقـاع تحـرق

---

[٢٤] محمود شكري البغدادي الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، (بيروت ، د. ت)، ٢/ ٣٣٠ .

[٢٥] عمر رضا كحالة، أعلام النساء، بيروت ، د. ت)، ١/ ٤٢٨.

[٢٦] أحمد محمد الحوفى، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص ١٦٦.

والسيج، الماء الجارة، والجابية، الحوض الضخم. انظر: المرجع أعلاه ، ص ١٦٦.

[٢٧] دردق، أطفال. انظر: المرجع أعلاه ، ص ١٦٦.

تشب لمقرورين يصطليانهـــــــا

وبات على النار الندى والمحلَّقُ [٢٨]

فما أن أتم القصيدة، إلا والناس ينسلون إلى المحلق الكلابى يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه يخطبون بناته، فلم تُمْسِ منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف [٢٩]، فأدت المدحة إلى تسابق الخطاب على الزواج من بنات المحلق، الذي كان فقيراً خامل الذكر، وهكذا كان الشعر سبباً مباشراً مؤثراً في الحياة الاجتماعية .

المهـــــر:

يعد الصداق أي المهر فريضة لازمة عند الجاهليين لصحة عقد الـــزواج، إذ هـــو علامة من علاماته، ودلالة على شرعيته [٣٠]، وكانوا يعدون الزواج بغياً وسفاحاً وزنا إذا لم يُدفع مَهْرُ للمرأة أو لوليّها، والأصل في المهر عند الجاهليين دفعه للمرأة، غيـــر أن ولـــي أمرها هو الذي يأخذه لينفق منه على ما يشترى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية، وقـــد يأخذ ولي أمرها (المهر) لنفسه، ولا يعطي المرأة منه شيئاً لاعتقاده أن ذلك حق يعود إليه [٣١]، لذلك نهى الإسلام عن ذلك، وجاء في سورة النساء " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة [٣٢] .

وليس للمهر حد معلوم، لا حد أعلى ولا حد أدنى، بل يتوقف ذلك علـــى الاتفـــاق، وتراعى في ذلك الحالة المالية للرجل في الغالب، ولما كانت النقود قليلة في ذلك العهد، كان المهر عيناً في الأكثر [٣٣]، فقد يكون المهر أرضاً، أو إبلاً، أو وزناً من الذهب أو الفضة،

---

[٢٨] أي بات الكرم والمحلق معاً يرعيان نار القرى لإطعام الناس. انظر: المرجع أعلاه ، ص ١٦٦.

[٢٩] وجاء فيه، نحر المحلق ناقته للأعشى، وكشط له عن سنامها وكبدها، ثم سقاه، وأحاطت به بناته يغمزنه ويمسحنه، فقال، ما هذه الجواري حولي ؟ قال، بنات أخيك وهن ثمانٍ شريد تهن قليلة. قال، وخرج من عنده، ولم يقل فيه شيئاً، فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها، وإذا الأعشى ينشدهم قصيدته (في مدح المحلق) فسلم عليه المحلق، فقال له الأعشى، مرحباً بسيد قومه، ونادى يا معاشر العرب، هل فيكم مذكار، أي له أولاد – يزوج ابنه إلى الشريف الكريم ؟ قال: فما قام من مقعده وفيهم مخطوبة إلا وقد زوّجها. انظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت ١٩٨١م) ، ١ / ٢٥؛ محمد سيد كيلاني، مختار الشعر الجاهلي ، ط٢، (القاهرة ، ١٣٩٠هـــ – ١٩٧٠م)،٢/٩٤-٩٥ .

[٣٠] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٣٠ .

[٣١] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٣١.

[٣٢] سورة النساء، الآية: ٤.

[٣٣] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٣١ .

وقد يكون جلوداً، فقد روي أن المهلهل بن ربيعة (عدي بن ربيعة) بعد أن ظهرت بكر بهم، رحل مع أهله إلى جنب (حي من اليمن) فخطب أحد رجالها أبنة المهلهل، وكان مهرها من الآدم وفيها يقول المهلهل:

انكسمها فقدمها الأراقم في جنب، وكان الحباء من آدم [٣٤]

وعلى ما يبدو فقد كان للمبالغة في المهور أثره على بعض عادات العرب، كعادة وأد البنات، فبعد أن كان الأب يئد ابنته، ويتفاخر في ذلك، ولا تمانع في ذلك شرائع الجاهليين، ولا يؤاخذه أحد على ذلك، حتى الأمهات ، لم يكن من حقهن منع الآباء من وأد بناتهن [٣٥] ، صارت المبالغة في مهر البنت مصدراً لثراء أبيها، وكان القوم يهنئون من وُلدت له بنت بقولهم، " هنيئاً لك النافجة " أو " بارك الله لك في النافجة "[٣٦] ؛ لأنه كان يأخذ مهرها فيضمه إلى ماله فينتفج [٣٧]، و النافجة هي البنت لأنها تعظم مال أبيها بمهرها [٣٨] .

وقد تصل المبالغة في المهور إلى حد أشبه بعملية شراء للمرأة (الزوجة)، وقد عبر العرب عن هذا الأمر – شعراً ونثراً _ عن هذه المبالغة، ووصفها بزواج الشراء في بعض الأحيان، يقول " جهم " فى امرأة من بني فقعس، باع إبلاً له، ومهرها وتزوجها، ثم وجدها عجوزاً فطلقها :

فبانتْ ولم أغبنْ غَدَاةَ اشْتَرَيْتُهَا

وبِعْتُ تلاَ دَ المَالِ بالثَّمَنِ البَخْسِ [٣٩]

وقال عامر بن الظرب، لصعصعة بن معاوية حين خطب ابنته، " إنك أتيتني تشترى منى كبدي " [٤٠].

---

[٣٤] بنو الأرقم هم أبناء بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب جشم ومالك والحرث ومعاوية وثعلبه وعمرو. انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ١/ ٣٠٤-٣٠٥ .

[٣٥] جواد علي، المرجع السابق، ٥ / ٥٢٨. كانت عادة بعض العرب في العصر الجاهلي وخاصة الفقراء والضعفاء قتل أولادهم عقب ولادتهم، إما خشية الفقر وعدم قدرتهم على إعالتهم، أو خشية أن يقع في الأسر يقع عليهم العار، وخاصة البنات. قال تعالى : {وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيرًا } سورة الآسراء ، اية: ﴿٣١﴾ . انظر : عمر فروخ، المرجع السابق، ص ٤١

[٣٦] محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

[٣٧] ابن منظور ، لسان العرب ، ٢/ ٣٨٢ .

[٣٨] نفس المصدر والجزء والصفحة.

[٣٩] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد ، ٣/ ٢١٠.

كما كانت هناك عوامل لها تأثير في تحديد مقدار المهر، ومنها جمال المرأة، ونسبها وحسبها، وبين المرأة الثيب والبكر، وبين الأرمله والمطلقة [٤١] .

وكان المهر يدفع علانية على مرأى ومسمع من الناس، وبحضور عددٍ من الشهود، كما أن المهرعادة ما يدفع لولي أمرها أو للمرأة نفسها [٤٢].

وقد استمرت ظاهرة الغلو في المهور حتى صدر الإسلام حيث جاء النهى على لسان الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم عن الغلوّ في صدقات النساء، بقوله، **لا تغالوا بالنساء، فإنما هن سقيا الله** " [٤٣] كما ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال، " **إن خير النساء أيسرهن صداقاً** " [٤٤] ونهى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن المغالاة في المهور فقال، " **لا تغالوا في صدقات النساء، فإنه لو كان تقوى الله أو مكرمة في الدنيا، كان نبيكم – صلى الله عليه وسلم – أولاكم بذلك، ما أصدق نساءه ولا بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية** "[٤٥].

الصفات المحببة في المرأة عند العرب:

لقد كانت هناك صفات في المرأة يستحسنها العرب، وتختلف الصفات المستحسنة من عصر إلى عصر – إلى حد ما – فالعرب في الجاهلية كانوا يفضلون المرأة اللمياء، على سبيل المثال، وهى ذات الشفتين الرقيقتين السمراوين [٤٦] ، بينما صارت الصفة المستحسنة في الشفتين – فيما بعد – أن تكون مثل حبات فاكهة الفراولة ممتلئتين حمراوتين حتى

---

[٤٠] أحمد محمد الحوفى، المرأة في الشعر الجاهلي، (القاهرة ،١٩٥٤م) ، ص ١٩١ .

[٤١] محمد سلام زناتى، نظم العرب في الجاهلية والإسلام، (القاهرة، ١٩٩٢م)، ص ٤٨.

[٤٢] محمد كامل ليلة، المجتمع العربي، (دمشق، ١٩٦٢م)، ص٨٦.

[٤٣] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت، د. ت) ، ٢/ ٢٧.

[٤٤] أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، د.ت) ، ١ / ٢٠١.

[٤٥] زينب بنت خزيمة أم المساكين الهلالية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد، أصدقها اثنتي عشرة أوقية انظر: محمد بن منيع بن سعد، الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، د. ت) ، ٨/ ١١٥.

[٤٦] اللّمَى، سمرة الشفتين واللثات يستحسن .. اللمياء من الشفاه اللطيفة القليلة الدم، وكذلك اللثة اللمياء، القليلة اللحم. .. قال الأصمعى، اللمى سواد يكون في الشفتين، وأنشد:

يَضْحَكْنَ عَنْ مَثْلُوجَةِ الأَثْلاَجْ

فِيهاَ لَمىً مِنْ لُعْسَةِ الأَدْعَاجْ

انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ١٥/ ٢٥٨ .

يستحسنهما الشاعر[٤٧] ، وقال رجل من العرب، وقد أراد أن يتزوج، خذ ملساء القدمين، لفاء الفخذين، ضخمة الذراعين، رخصة الكفين (أي ناعمة)، ناهدة الثديين، حمـــراء الخـــدين، كحلاء العينين، زجاء الحاجبين (الدقيقة الحاجبين في طول)، **لميـــاء الشـــفتين** (فيهمـــا سمرة).

بلجاء الجبين (نقاوة ما بين الحاجبين)، **شماء العرنين** (مرتفعة الأنف)، **شنباء الثغر** (في أسنانها رقة وعذوبة، أو حِدَّة)، **مُحْلَوْلِكَةَ الشعر** (شديد السواد) غيداء العنـــق (أي مائلة العنق) **مكسرة البطن** [٤٨] .

وقد اشتمل الشعر الجاهلي على كثير من الأوصاف المحمودة عندهم في النساء، من ذلك هذه القصيدة التي حفظها لنا الألوسي [٤٩] ، في كتابه بلوغ الأرب في معرفـــة أحـــوال العرب وفيها يذكر الشاعر المحاسن التي كان يعشقها رجال الجاهلية في المرأة، فيقول،

بيضاءُ قد لبسَ الأديمُ أديمَ
الحُسْنِ، فَهْوَ يجلْدِها جِلْدُ
وَيزِينُ فَوْدَيْهَا إذَا حَسَرَتْ
ضافي الغَدَائِرِ فَاحِمُ جَعْدُ[٥٠].
فَالَوجْهُ مِثْلُ الصُّبْح مُبْيَضٌّ [٥١]
والفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوَدُّ [٥٢]
وَجَبِينُهَا صَلْتُ .. وَحَاجِبُهَا
شَحْتُ المَخَطِّ أَزَجُّ مُمْتَدُّ [٥٣]

---

[٤٧] يقول الشاعر المعاصر،
لها شفتان فراولتان.. حمراوانِ
تشتعلانِ .. يا ويلى من النارِ
انظر: محمود عبد الصمد زكريا، ديوان هذيل، (مصر، ١٩٩٤م)، ٢٨ .

[٤٨] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢/ ١٥.

[٤٩] نفس المصدر والجزء، ص ٢٠، ٢١. وعنه تفسير معاني كلمات القصيدة .

[٥٠] الفود،معظم شعراللمة مما يلي الأذنين وناحية الرأس،وحسرت المرأة خمارها،كشفته،والغدائرجمع غديرة ،وهي الذؤابة، والفاهم الأسود، والجعد الذي فيه كسرة.

[٥١] مبيضٌ تروى، منبلجٌ، وبها يستقيم الوزن . لأن آخرها فَعِلُنْ (بكسر العين)، بينما مبيض تكسر الوزن ؛لأن آخرها فَعْلُنْ (بسكون العين).

[٥٢] الفرع هو الشعر التام.

وَكَأَنَّهاَ وَسْنَى إِذَا نَظَرَتْ
أَوْ مُدْنَفٌ لَماَّ يَفِقْ بَعْدُ [٥٤]

بِفُتورِ عَيْنٍ مَابِهَا رَمَدُ
وَبِهاَ تُدَاوَى الأَعْيُنُ الرُّمْدُ

وَتُرِيكَ عِرْنِيناً بِهِ شَمَمُ
وَتَرِيكَ خَداً لَوْنُه الَوَرْدُ [٥٥]

وَتُجِيلُ مِسْوَاكَ الأَرَاكِ عَلَى
رَتَلٍ كَأَنَّ رُضَابَهَ الشَّهْدُ [٥٦]

وَالجِيدُ مِنْهَا جِيدُ رَاِتعَةٍ
تَعْطُو إِذَا مَا طَالَهاَ المَرْدُ [٥٧].

وَامْتَدَّ في أَعْضَادِهَا قَصَبُ
فَعْمٌ تَلَتْهُ مَرَافِقُ وُرْد [٥٨]

وَالمِعْصَمَانِ فَمَا يُرىَ لَهُمَا
مِنْ نَعْمَةٍ وَغَضَاَضَةٍ زَنْدُ [٥٩]

وَلَهَا بَنَانٌ لَوْ أَرَدْتَ بِهَا
عَدًّا بِكَفِّكَ .. أَمْكَنَ العَقْدُ [٦٠]

وَكَأَنَّماَ سُبِقَتْ تَرَائِبُهَا
وَالَّنْحرُ مَاءَ الَوْرْدِ إِذْ تَبْدُو [٦١]

وَبِصَدْرِهاَ حُقَّانِ خِلْتُهمَا
كَافُورَتَيْنِ عَــلاَهُمَا نَدُّ [٦٢]

---

[٥٣] جبين صَلْتُ أي واضح، وحاجب شَخْطُ أي دقيق، وأزج، دقيق في طول.

[٥٤] الوسن، النعاس، والمدنف، المريض.

[٥٥] العرنين من كل شيء، أوله، ومنه عرنين الأنف لأوله، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين، وهو موضع ارتفاع الشمم، أي ارتفاع الأنف.

[٥٦] الأراك، شجر يستاك بقضبانه، والرتل بياض الأسنان وكثرة مائها، والرضاب الريق .

[٥٧] تعطو، ترفع رأسها، والمرد، الغض من ثمر الأراك.

[٥٨] أعضاء، جمع عضد، وفعم، ممتلئ، ومرافق، جمع مرفق وهو موصل الذراع في العضد.

[٥٩] المعصم، موضع السوار من الزند، ونعمة، لين الملمس.

[٦٠] البنان، الأصابع أو أطرافها.

[٦١] الترائب، موضع القلادة، والنحر، أعلى الصدر.

وَالبَطْنُ مَطْوِيٌّ كَمَا طُوِ يَتْ
بِيضُ الرِّيَاطِ يَصُونُهَا المَلْدُ [٦٣].
وَبِخَصْرِهَا هَيْفُ يُزَيِّنُهُ
فَإِذَا تَنُوءُ يَكَادُ يَنْقَدُّ [٦٤].
وَالْتَفَّ حَاذَاهَا .. وَفَوْقَهُمَا
كَفَلٌ كَدَعْصِ الرَّمْلِ مُشْتَدُّ[٦٥]
وَقِيَامُهَا مَتْنَى إِذَا نَهَضَتْ
مِنْ لِينِهَا .. وَقُعُودُهَا فَرْدُ
وِالكَعْبُ أَدْرَمُ .. مَا يبَينُ لَهُ
حَجْمُ .. وَلَيْسَ لِرأْسِهِ حَدُّ [٦٦]
وَمَشَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خصّرَنَا
وَالْتَفَّتَا فَتَكَامَلَ القَدُّ
مَا عَابَهَا طُولُ وَلاَ قِصَرُ
فِي خَلْقِهَا .. فَقَوَامُهَا قَصْدُ.

وكما كانت لدى عرب الجاهلية صفات مستحبة في المرأة في شكلها، وفي أخلاقها، كانت هناك صفات مذمومة يكرهونها في النساء [٦٧]، و هي كثيرة، وقد تواصى العرب بعضهم البعض، ووصوا أبناءهم في اختيار الزوجة .وقالوا عن النساء أنهن أربع، منهن مقمع، لها سنها أجمع، ومنهن ممنع، تضر ولا تنفع، ومنهن مصدع تفرق لا تجمع، ومنهن غيث وقع، يلد فأمرغ.

يقول الشاعر،

أرى صاحب النسوان يحسب أنها

---

[٦٢] الحقان، الثديان، والند، عطر معروف .

[٦٣] الرباط، الثياب اللينة الرقيقة، والملد، الناعم اللين من الرجال .

[٦٤] الخصر، الوسط، والهيف، ضمور البطن، وتنوء، تنهض، وينقد، ينقطع.

[٦٥] الحاذان، ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين، والكفل، العجز، والدعص، الكثيب من الرمل المجتمع ،

[٦٦] الأدرم فسره بقوله ما يبين له حجم، وليس لرأسه حد .

[٦٧] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٢٢ –٢٣ ؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص ٢٣ ؛ عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص١٢٦.

سواء. وبون بينهن بعيد [٦٨]

فمنهن جنات يضيء ظلالها

ومنهن نيران لهن وقيد

كما يروى عن صخر بن عمرو أخو الخنساء، وكان أحد أشراف بني سليم وقد أصيب في إحدى غزواته، فمرض وطال مرضه ، وعاده قومه، فكانوا إذا سألوا امرأته سلمى عنه قالت، لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينسى ، وكان صخر يسمع كلامها، فشق عليه فلما أفاق من علته عمد إلى امرأته فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت.وفي روايا حمل سيفه ليقتلها فلما، يستطع فأنشد قائلا،

أرى أم صخر ما تمل عيادتي

وملت سلمى مضجعي ومكاني

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه

وقد حيل بين العير والنزوان [٦٩]

كذلك كانت هناك صفات محمودة في الرجل تعشقها النساء، وصفات مكروهة[٧٠]. يروى أن امرؤالقيس كان مئناثاً لا ذكر له، وغيوراً شديد الغيرة، فإذا ما ولدت له بنت وأدها، فكانت نساؤه يخشونه فيغيبون بناتهم في الأحياء، فكان يتبعنهن ويقتلهن، فكانت نساؤه يكرهن منه ذلك وتشير الرواية أيضا أنه وعلى الرغم مما اتصف به من وسامة وجمال كان مفركاً لايحظى عند النساء، ويبغضنه، ولا تريده النساء إذا جربنه. وقال لامرأة تزوجها، ما يكره النساء منى ؟ قالت، يكرهن منك أنك ثقيل الصدر، خفيف العجز، سريع الإراقة، بطيء الإقامة. وسأل أخرى عن مثل ذلك فقالت، يكرهن منك أنك إذا عوقت فحت بريح كلب ! فقال أنت صدقتيني، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة.

حفلات الزفاف:

أول مراسم الفرح النصيحة التي يوجهها أهل العروس، فإن كان قريب القرابة منه، أو من قومه، قال لها أبوها أو أخوها، إذا حُملت إليه:" أيسرتِ و أذكرتِ ولا أنثتِ ! جعل الله منك عدداً وعزاً وجلداً ، أحسني خلقك وأكرمي زوجك، وليكن طيبك الماء"، وإذا زوجت في

---

[٦٨] الألوسي، بلوغ الأرب، ٢/ ٢٢-٢٣ .

[٦٩] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٥١-٢٥٣ .

[٧٠] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٢٦ وما بعدها.

غربة قال لها:" لا أيسرتِ و لا أذكرتِ فإنك تدنين البعداء ، وتلدين الأعداء، أحسني خلقك وتحببي إلى إحمائك ، فإن لهم عليك عيناً ناظرة، وأذناً سامعة، وليكن طيبك الماء" [٧١]. ثم إذا كان يوم العرس أعدو وليمة كبيرة،وذبحوا فيها ودعوى إليها أقارب الزوجين وأصحابهم، وكانت الولائم تتماشى مع مكانة العريس ووضعه الاجتماعي، ويطلق على الطعام الشندح وللوليمة الإملاك[٧٢]. وهي ملزمة للعريس، ومهما كان وضع الاقتصادي، ويقرن بخروجها من بيت أهلها بالغناء، وضرب الدفوف، وقد اشتهر أهل يثرب بذلك حيث كانوا يرددون :

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمرا ما سمنت عذاريكم [٧٣]

وتزف العروس إلى زوجها ليلاً أو نهارا في موكب من الرجال والنساء على الإبل المزينة، وتحمل العروس بين يديها النار، وخلفها حاجبتها في هودج خاص بها، وقد نهى الإسلام عن حمل النار، لأنه تشبه بالمشركين، وكان المدعوون للعرس يرتدون ملابس نظيفة مصبوغة بصفرة الزعفران، وخاصة عند أهل الحجاز الذين يعتبرون ذلك علامة الفرح والبهجة، وربما صبغوا أيديهم ولحاهم بالزعفران، وكحلوا أعينهم بالسواد، وهم يقدمون الشكر للعريس على دعوتهم للوليمة، وتمنياتهم له بالحياة السعيدة، ويقولوا له عند انصرافهم، على الطائر الميمون، و – بالرفاة والبنين – وهي العبارة التي نهى الإسلام عن قولها لتخصيص البنين عن البنات[٧٤] .

أنواع الزواج عند العرب في العصر الجاهلي:

تعددت أنواع الزواج عند العرب في العصر الجاهلي، فلم يكن زواج البعولة وحده هو الزواج عندهم، فيصف ابن حبيب أن النكاح في الجاهلية على أربع، امرأة تُخطب فتزوج، وامرأة يكون لها خليل يختلف إليها، فإن ولدت قالت:"هو لفلان" فيتزوجها بعد هذا، وامرأة ذات راية يُختلف إليها فإن جاء اثنان فوافياها فيطهر واحد ألزمت الولد واحداً منهما، فهذه تدعى المقسِّمة، والرجل يقع على أمة قوم، فيبتاع ولدها فيرغب فيدعيه ويشتريها

---

[٧١] ابن حبيب، المُحَبَّر ، ص٣١٠-٣١١.

[٧٢] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٣٨٦/١.

[٧٣] جواد علي، المرجع السابق، ٦٤٧/٤.

[٧٤] حسين الحاج حسن، المرجع السابق ، ١٤٣-١٤٥ .

فيتخذها امرأة [٧٥]، وعلى كل فإن من أشهر أنواع الزواج عند العرب في العصر الجاهلي وأبطلها الإسلام :

١- نكاح الضيزن:

ويعرف بنكاح المقت [٧٦] فقد كانت العرب في العصر الجاهلي تتزوج نساء آبائها، وهو أشنع ما كانوا يفعلون [٧٧] ذلك أنهن في الجاهلية، كانت إحداهن إذا مات زوجها كان ابنه الأكبر أولى بها من غيره، إذا شاء نكحها [٧٨] فكان يطرح ثوبه عليها إن كان له حاجة فيها، وإن لم يكن له حاجة فيها، تزوجها بعض إخوته بمهر جديد [٧٩]، كما كان من حقه إذا شاء أن يعَضلَهَا [٨٠] أي منعها من غيره، ولم يزوجها حتى تموت [٨١]، وقد أطلقوا اسم الضيزن على الرجل الذي يخلف على امرأة أبيه [٨٢]. **قال** أوس بن حجر التميمى يعيرٍ قوماً من بني قيس بن ثعلبة، تناوبوا على امرأة أبيهم واحداً بعد آخر وكانوا ثلاثة،

والفارسيةُ فيهم غيرُ منكرةٍ

فكلهم لأبيه ضَيْزَنُ سلَفُ [٨٣]

---

[٧٥] ابن حبيب، المُحَبَّر، ص ٣٤٠.

[٧٦] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٣٤.

[٧٧] ابن حبيب، المُحَبَّر ، ص٣٢٥ .

[٧٨] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت، ١٩٨٤م)، ٤ / ٢٠٧؛ أبي داود، السنن ، ٢/٢٣٠؛ قال تعالى : { وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا } سورة النساء، الآية : ﴿٢٢﴾ .

[٧٩] ابن حبيب، المُحَبَّر، ٣٢٥-٣٢٦؛ الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٥٣.

[٨٠] عَضلَ المرأة عن الزوج، حبسها، وعضل الرجلُ أَيِّمَه يعضُلها ويعضِلها عَضْلاً، وعَضَّلَها، منعها الزوج ظلماً، قال الله تعالى، {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ } سورة البقرة ،آية : ﴿٢٣٢﴾ ، وأما قوله تعالى، {وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ }سورة النساء، آية : ١٩، فإن العضل في هذه الآية من الزواج لامرأته (يعني أنه) يمنعها حقها من النفقة وحسن العشرة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٤٥١ .

[٨١] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٣٤.

[٨٢] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢/ ٥٢.

[٨٣] محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت، د. ت) ، ٩/ ٢٦٤.

٢- نكاح المتعة:

هو تزويج المرأة إلى أجل، فإذا انقضى وقعت الفرقة [٨٤] ولعله يختلف عن الزواج العادي في أنه يخلو من الخطبة والصداق [٨٥] وقد كان هذا النوع من الزواج معروفاً عند ظهور الإسلام [٨٦]، وكان هذا الزواج يفسخ عقده إذا ما انتهى الأجل، وعلى المرأة أن تعتد (تقضى العدة) – كما في غيره من أنواع الزواج الأخرى – قبل أن تقترن بزوج آخر، ويُنسب أولاد المتعة إلى أمهاتهم في الغالب، بسبب اتصالهم المباشر بالأم، وبسبب ارتحال الأب في أغلب الأحايين، فتنقطع الصلات بينهم وبين الأب، وإن كان هذا لا يمنع من انتساب الأبناء إلى الأب، ومن حقهم في الإرث [٨٧]. ومكة – قبل الإسلام – كانت تؤمها وفود العرب للحج، وتنطلق منها قوافل التجارة إلى بلاد الشام واليمن وفارس، فكان الحجاج يستمتعون بنساء يفدن إلى مكة لهذا الغرض [٨٨]، ومن دوافع حدوث هذا الزواج التنقل والأسفار والحروب [٨٩]، وكان التجار يستمتعون في أسفارهم بنساء البلاد التي يقصدونها مدة بقائهم فيها [٩٠] وقد أباح النبي – صلى الله عليه وسلم – زواج المتعة –، ثم حرم بعد ذلك [٩١].

وفي حديث رواه البخاري أن النهي عنه جاء يوم فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة[٩٢]، وفي حديث رواه مسلم وأبو داود أن النهي عنه جاء في خطبة الوداع التي ألقاها النبي – صلى الله عليه وسلم – في آخر حجة حجها في السنة العاشرة للهجرة، وفيها قال

---

[٨٤] الزبيدي، تاج العروس ، ٥/٩.

[٨٥] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ٤٠ .

[٨٦] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٣٦.

[٨٧] السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الإسلام ، (الإسكندرية ١٩٦٨ م)، ص ٣٩٤.

[٨٨] عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص ٤١ .

[٨٩] جواد علي، المرجع سابق ، ٥ / ٥٣٧ .

[٩٠] عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص ٤١.

[٩١] محمد بن إسماعيل البخاري، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (بيروت، ١٤٠١هـ /١٩٨١م) ، باب نكاح المتعة ، ٩/ ١٠٢

[٩٢] البخاري، باب نكاح المتعة ، ٩ /١٠٢.

للناس، (إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرَّم ذلك إلى يوم القيامـــة، فمن كان عنده منهن شيء فليخلّ سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) [٩٣] .

٣- نكاح الخدن [٩٤]:

هذا النكاح يتم فيه اتخاذ أخلاّء في السر، وذلك باتخاذ الرجل صديقة له، أو اتخـــاذ المرأة صديقاً لها، ويكون ذلك بالطبع بالتراضي والاتفاق بينهما، وذات الخدن هي من اتخذت لها صديقاً واحداً [٩٥] ، ولم يكن نكاح الخدن بعقد وخطبة، إنما هو صـــداقة بـــين رجـــل وامرأة.

٤- نكاح البدل:

وهو أن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي [٩٦]، فهو زواج بطريق المبادلة بغير مهر [٩٧].

٥- نكاح الشِّغار:

وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الأخر ابنته [٩٨]، أو يزوجـــه أختـــه أو ابنته، أو من يلي أمرها [٩٩] وزواج الشغار – قريب من زواج البدل، حيث إن كلاً منهما لا مهر فيه[١٠٠].

٦- نكاح الاستبضاع:

الاستبضاع نوع من نكاح الجاهلية [١٠١] ، وذلك أن الرجل كان في الجاهلية إذا أراد أن يكون له ولد نجيب أو شجاع، طلب من زوجته أن تذهب إلى من اشتهر بذلك لتستبضع

---

[٩٣] أبو الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى (مسلم)، صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، (بيروت د. ت) باب المتعة .

[٩٤] الخدن والخدين، الصديق، الذي يخادنك، فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن .. وخدن الجارية، محدثها. انظر: ابن منظور، لسان العرب ، ١٣/ ١٣٩.

[٩٥] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٤٦.

[٩٦] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٥.

[٩٧] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٣٧.

[٩٨] الألوسي، بلوغ الأرب، ٢/٥.

[٩٩] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٣٨.

[١٠٠] محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

منه [١٠٢]، أي تطلب منه الجماع [١٠٣] ، ويعتزلها زوجها، ولا يمسها أبداً، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم في الشجاعة، أو الكرم، أو غير ذلك، فكان هذا النكاح الاستبضاع [١٠٤]، وينسب الولد إلى الزوج [١٠٥] .

وتحكى لنا مصادر الأدب عن حكايات حدث فيها الاستبضاع، مثال ذلك ما أورده الجاحظ [١٠٦] ، أن لقمان بن عاد وهوأحد سادات العرب، كانت له أخت تحت رجل ضعيف، وأرادت أن يكون لها ابن كأخيها لقمان في عقله ودهائه، فقالت لامرأة أخيها، إن بعلي ضعيف وأنا أخاف أن أَضْعِفَ منه، وأنا في ليلة طهري، فأعيريني فراش أخي الليلة، ففعلت .. وجاء لقمان وقد ثمل، فبطش بأخته، فعلقت منه، وولدت ولداً دعته لُقَيْم – تصغير – لقمان – وقد وردت هذه القصة في شعر النَّمِرِ بنِ تَوْلِبَ وفيه يقول :

لُقَيْمُ بن لقمانَ من أخته
فكان ابنَ أختٍ له وابناَ [١٠٧]
ليالي حُمِّقَ فاستحصنتْ
عليه .. فَغُرَّ بها مظلِماً [١٠٨]
فأحبلها رجلُ نابــهُ
فجاءت به رجلاً محكَماَ [١٠٩].

---

[١٠١] ابن منظور ، لسان العرب، ٨/ ١٤ وجاء فيه: البُضْعُ، النكاح، والمباضعة، المجامعة وابتضع فلان، وبضع إذا تزوج .. والبُضْع، المهر .. والبُضْعُ الفَرْج .. والاستبضاع نوع من نكاح الجاهلية، وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط. انظر: نفس المصدر، والجزء ، والصفحة.

[١٠٢] عبد السلام الترمانينى، المرجع السابق ، ص ١٨.

[١٠٣] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٤/٢ .

[١٠٤] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٣٩.

[١٠٥] عبد السلام الترمانينى، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

[١٠٦] الجاحظ، البيان والتبيين ، ١٠٣/١.

[١٠٧] الشطر الثاني معناه، فكان ابن أخت له وابناً، ولكن زيدت الميم، فأصبحت (وابناً)، وابنما.

[١٠٨] حُمِّقَ، أي أُسكر حتى ذهب عقله، واستحصنت أي أتته وهى حَصان (عفيفة بيِّنة الحصانة). انظر: ابن منظور، لسان العرب ، ح١٣–ص١٢٠) كما تأتى المرأة وزوجها، فُغُرَّ، من الغرة وهي الغفلة، انظر: المعجم الوجيز ، (القاهرة، ١٩٩٥ م)، ص ٤٤٨.

[١٠٩] فأحبلها رجل (الذي هو أخوها لقمان) نابه، من النباهة ارتفاع الذِكر. انظر: المعجم الوجيز ، ص٦٠٠ . رجلاً (ابنها لقيم)، محكماً، حكيماً. انظر: المعجم الوجيز، ص ١٦٥ .

والقصة عن لقمان بن عاد، وكان لقمان بن عاد الأكبر، ولقمان بن عاد الأصغر، ولقيم بن لقمان أصحاب مكانة رفيعة، وكان أهل اليمن يعظمون شأنهم في النباهة وعلو القدر، والعلم، والحكم، واللسان (أي البلاغة) والحلم، ولقمان الأكبر ولقمان الأصغر غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم على ما يقول المفسرون، ويقال أن أخت لقمان – مدار الحكاية – كان اسمها صحر [١١٠].

٧- نكاح المضامدة:

المضامدة من الضمد [١١١] ، وهو اللف والعصب، وكانت تطلق في الجاهلية على معاشرة المرأة لغير زوجها، وكانت تلجأ إليها نساء الجماعات الفقيرة زمن القحط، ويضطرها الجوع إلى دفع نسائها في المواسم التي تعقد فيها الأسواق لمضامدة رجل غنى[١١٢] فكانت المرأة تتفرغ له، ولا تتعامل مع غيره، حتى إذا غنيت بالمال والطعام عادت إلى زوجها، وفي ذلك عن أبي عمرو، قال مدرك،

لا يُخْلِصُ الدهرَ خليل عَشْـرَا [١١٣]

ذات الضماد .. أو يزور القبرا [١١٤]

إنى رأيت الضّمد شيئـاً نكـراَ [١١٥]

وكان الرجل لا يقبل أن تضامد المرأة معه رجلاً غيره، وقد روى الميداني في الأمثال أن أبا ذؤيب الهذلي كان يضامد امرأة في الجاهلية، وقد أرادت أن تشرك معه رجلاً اسمه خالد، ولكنه أبى ذلك عليها وقال :

تريدين كيما تضمدينى وخالداً وهل يُجمع السفيان – ويحك – في غمدِ ؟

ويقول آخر في امرأة أرادت أن تضامده مع صاحب له،

---

[١١٠] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٣ / ٢١٢، ٢١٣ .

[١١١] ابن منظور، لسان العرب ، ٣/ ٢٦٦. وفيها، الضَّمْدُ أن تَحَالَّ المرأة ذات الزوج رجلاً غير زوجها، والضماد أن تصادق المرأة اثنين أو ثلاثة في القحط، لتأكل عند هذا وهذا لتشبع .

[١١٢] عبد السلام الترمانينى، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

[١١٣] هذا الشاعر يستنكر الضمد، ويفسره بأن الجوع هو الدافع إليه، ويقول إن الرجل في سنة القحط لا يدوم على امرأته، ولا تدوم المرأة على زوجها إلا قدر عشر ليال .

[١١٤] يضطره الجوع إلى دفعها للمضامرة ، لأنه إذا لم يفعل ذلك فسيموت جوعاً .

[١١٥] وردت عند ابن منظور، لسان العرب ، ٢٢٦/٣

أردتِ لكيما تَضْمدينى وصاحبى ألا .. لا .. أحبىِّ صاحبى ودعينى

وربما اختار سيد في قومه امرأة لتضامده، ويجعلها تتفرغ له ولا يجرؤ أحد على دعوتها إليه، وكانت أسماء المرية من جميلات النساء، وكانت تضامد هاشم بن حرملة [١١٦]، فلقيها معاوية بن عمرو بن الحارث بن الشريد (أخو الخنساء) في سوق عكاظ، فدعاها إلى نفسه، فامتنعت عليه، وقالت، أما علمت أني عند سيد العرب هاشم بن حرملة ؟ فقال لها، أما والله لأقارعَّنه عنك. قالت، شأنك وشأنه لأقارعنّه [١١٧] وكانت بين هاشم وأخيه دريد ابنـــي حرملة وبين معاوية بن عمرو، حرب انتهت بمقتل معاوية، وهـــو الـــذي اشـــتهرت أختـــه الخنساء[١١٨]، بمراثيها فيه [١١٩]، وفي أخيها صخر.

٨- نكاح الرهط :

يجتمع الرهط مادون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها أي يطؤها [١٢٠] ، وذلك برضا منها وتواطؤ بينهم وبينها [١٢١]، فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم، قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقـــد ولدت فهو ابنك يا فلان، وتسمى من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل [١٢٢].

---

[١١٦] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، (القاهرة ، ١٩٧٣م) ، ١٥ / ٨٨.

[١١٧] نفس المصدر أعلاه ، ١٥/ ٨٩.

[١١٨] الخنساء هي السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي، نشأت في بيت مجد وسيادة تقول المقطوعات من الشعر، فلما قتل أخواها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبغت في رثائهم، وتعد الخنساء على رأس الشواعر العربيات، لقوة شعرها، وصدق شعورها، مع جمال الأسلوب وسلاسته، وكانت وفاتها في خلافة معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه، في حوالي سنة٤٦هـــ. انظر: طه حسين، أحمد الإسكندري، أحمد أمين، علي الجارم، عبد العزيز البشرى، أحمد ضيف ، المنتخب من أدب العرب ، جمعه وشرحه، سلسلة الذخائر ، (القاهرة، ٢٠٠١م)، م٢/ ٨٤.

[١١٩] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ١٥/ ٩٠.

[١٢٠] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٤.

[١٢١] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٣٩.

[١٢٢] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٤.

٩- نكاح الظعينة:

إذا سبى رجل امرأة، فله أن يتزوجها إن شاء، وليس لها أن تأبى عليه ذلك، ويكون هذا الزواج بغير خطبة ولا مهر، لأنها مملوكة وليس لها خيار [١٢٣]، وكانت تسمى الأخيذة أو السبية، ويسمى أولادها أولاد الأخيذة أو أولاد السبية [١٢٤]، وكان سبي النساء عند العرب في العصر الجاهلي من أشنع صنوف الذل والعار على الرجال، لذلك كانوا يستبسلون في القتال حتى لا يغلبوا، وتسبى نساؤهم، وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم [١٢٥]، في معلقته،

على أثارنا بيضُ حسانُ
نحاذر أن تقَّسم أو تهونا
يقتن جيادنا ويقلن، لستم
بعلوتنا إذا لم تمنـــعونا
إذا لم نحمهن فلا بقينا
لسبي بعدهن ولا حيينا [١٢٦]

والمرأة المسبية مهما لقيت من كرم خاطفها ومحبته فإن شعورها بالهوان يلازمها، وتعمل الحيلة للعودة إلى أهلها [١٢٧] ، وقد روى أن عروة بن الورد [١٢٨]، وكان من صعاليك العرب وفُتَّاكهم، خطف امرأة من بني عامر وتزوجها، فأقامت عنده وولدت له، ثم طلبت منه أن تزور أهلها، فحملها حتى انتهت إليهم، فطلبت منهم أن يشتروها منه، فسقوه خمراً، ثـم ساوموه عليها، فقال، " إن اختارتكم فقد بعتها منكم " وكان يظن أنها ستختاره، فلما ســألوها

---

[١٢٣] جواد علي، المرجع السابق ، ٥/ ٥٤٦ .

[١٢٤] عبد السلام الترمانينى، المرجع السابق ، ص٣٠.

[١٢٥] هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي، سيد تغلب وفارسها، وأحد فُتَّاك العرب وشعرائهم المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر، وأمه ليلى بنت مهلهل أخت كليب، قال هذه المعلقة في ملاحاة وقعت بينه وبين الحارث بن حلزة اليشكرى في مجلس عمرو بن هند ملك الحيرة، يصف فيها حديثه مع ابن هند، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة، وهي المعلقة التي يستهلها بقوله،

ألا هُبّى بصحنك فاصبحينا ولا تُبقى خمور الأندرينا

مات قبل الإسلام بنحو نصف قرن. انظر: المنتخب من أدب العرب، ص ١٢.

[١٢٦] الحسين بن احمد الزوزنى، المرجع السابق ، ص٢٢٠ وما بعدها.

[١٢٧] عبد السلام الترمانينى، المرجع السابق ، ص ٣١-٣٢ .

[١٢٨] عروة بن الورد هو عروة بن الورد العبسى، واحد من شعراء العرب المبدعين، وهو من الشعراء الصعاليك .

اختارت أهلها، وقالت له، " ارجع إلى أهلك راشداً، وأحسن إلى ولدك. " فرجع إلـــى أهلـــه وأنشد قائلاً،

سقونى الخمر ثم تكنَّفونى
غداة الله من كذبٍ وزورِ[١٢٩]

وقالوا، لست بعدُ فداءَ سلمى
بمفنٍ مالديك ولا فقـــير [١٣٠]

أطعتُ الآمرين بصرم سلمى
فطاروا في بلاد اليستعور[١٣١]

ألا ياليتني عاصيت طلقاً
وجباراً ومن لي من أمير ؟[١٣٢]

١٠- نكاح الإماء:

كان من حق العربي أن يتزوج من أمته، فإن أنجب منها أبناء كان مـــن حقـــه أن يعتقهم ويلحقهم بنسبه، ومن حقه ألا يفعل ذلك، ويظلوا عبيداً [١٣٣] .

كان العرب ميالين إلى الزواج بالحبشيات والسود عامة، فقد روى- الأصمعي- أن رجلاً قيل له :أي الرجال أخف أزواجاً؟ قال: الذين أعرقت فيهم السودان ، وقال علي بن أبي طالب:من تزوج سوداء فطلقها، فعليَّ مهرها. وكان أبو حازم المرئي ينشد:

ومن يَكُ معجباً ببنات كســـرى
فإني معجبٌ ببنات حامِ. [١٣٤]

---

[١٢٩] تكنفوني أي أحاطوا بي. انظر: المعجم الوجيز، ص ٥٤٣ .

[١٣٠] بمفنٍ، أي لن ينفد ما لديك، وأفنى الشيء، أنهى وجوده . انظر: المعجم الوجيز، ص ٤٨٢.

[١٣١] اليستعور موضع قبل حرة المدنية، كثير العضاة (الشوك) موحش لا يكاد يدخله أحد، وقيل إن اليستعور جبال لا يكاد أحد يدخلها إلا رجع خوفاً منها، يريد أنهم تفرقوا حيث لا يعلم ، ولا يهتدي إلى موضعهم. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، تحقيق عبد العزيز الجندي ، (بيروت ، ١٩٩٠ م) ، ٥ / ٤٩٩-٥٠٠.

[١٣٢] طلق، أخوها، وجبار ابن عمها، وأمير، يقصد المستشار الذي أشار عليه بذلك. والقصة وردت في لسان العرب وتاج العروس تحت كلمة (يستعر) وفي معجم البلدان تحت كلمة يستعور.

[١٣٣] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٣٩٤..

[١٣٤] أحمد محمد الحوفى، المرأة في الشعر الجاهلي، ص١٦٢.

١١- نكاح صاحبات الرايات:

هن البغايا كن ينصبن علي أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، وذكر أن تلك الرايات كانت رايات حمراً [١٣٥]، ومن سنتهم أنهم كانوا يكسبون بفروج إمائهم، وكان لبعضهم راية منصوبة في أسواق العرب، فيأتيها الناس فيفجرون بها، فأذهب الإسلام ذلك، وأسقطه فيما أسقط، ولهن أولاد ونسل كثير معروف [١٣٦]، لأنه إذا حملت إحداهن ووضعت حملها، كانوا يجمعون لها ويدعون القافة [١٣٧] ، ثم يلحقون ولدها بالذي يرون، فيستلحقه به، ويعتبر هذا النكاح أحد أنواع الزنا، ويشمل الزنا كل نكاح لا يتم بعقد وصداق، وما يدفع للعاهرات فهو أجر مقابل إشباع الشهوة [١٣٨].

١٢- نكاح المحارم:

حرَّم العرب القدامى على أنفسهم الزواج ببعض أنواع الأقارب [١٣٩]، والقاعدة العامة في الازدواج مراعاة علاقة الأصل بالفرع [١٤٠]، فكانوا لا ينكحون الأمهات، ولا البنات، ولا الخالات، ولا العمات [١٤١] وكذلك لا يجوز نكاح الأب لابنته، ولا الجد لحفيدته، ولا يجوز للأم أن تتزوج ابنها، ولا للجدة أن تتزوج حفيدها، ولا للأخ أن يتزوج أخته [١٤٢].

ومع ذلك كانت هناك حالات في الجاهلية لم تخضع لهذا التحريم ، كالجمع بين الأختين [١٤٣]، كما يبدو أن عادة الزواج بالبنات قد تسربت مع المجوسية إلى بعض القبائل المجاورة لبلاد الفرس كقبيلة تميم [١٤٤]، التي اعتنقها ببعض سادتها المجوسية كحاجب بن

---

[١٣٥] جواد علي، المرجع السابق ٥ / ٥٤٠.

[١٣٦] محمد بن حبيب، المُحَبَّر ، ١ / ٣٤٠.

[١٣٧] القافة جمع قائف، والقائف، شخص اشتهر عند العرب بفضانته لمعرفة الشبه بين الولد بالوالد بالآثار الخفية. انظر: المعجم الوجيز، ص٥٢٠.

[١٣٨] يعتبر الزنا من أقدم الظواهر الاجتماعية التي رافقت البشرية، وتختلف النظرة إليه باختلاف الجماعات واختلاف مفاهيمها الأخلاقية المستمدة من طبائعها وتقاليدها، وهو عند بعضها مباح، وعند بعضها إساءة مغتفرة، وعند البعض الآخر جريمة فاحشة. انظر: عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

[١٣٩] محمد بيومي مهران، المراجع السابق ، ص ٤٦.

[١٤٠] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٢٨ .

[١٤١] الألوسي، بلوغ الأرب، ٢/ ٥٢.

[١٤٢] جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٢٨.

[١٤٣] ابن حبيب، المُحَبَّر، ص ٣٢٧ .

[١٤٤] عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص ٣٢.

زرارة [١٤٥] سيد بني تميم، والذي تزوج من بنت له تدعى دخنتوس – باسم بنت لكسرى –، وقد تزوجها حاجب وأولدها [١٤٦]، وإذا صح الخبر فلا بد أن يكون حاجب بن زرارة قد تأسَّى بكسرى، ولعل هناك آخرين فعلوا فعله، وأخذوا بهذه العادة مع ما أخذوا من مجوسية الفرس، ولما ظهر الإسلام قضى عليها مع قضائه على العادات التي تخالف مبادئه وتعاليمه.[١٤٧] .

وقال حين نكحها مرتجزاً:

ياليت شعري عنك دخنتوسُ

إذا أتاها الخبر المرموسُ [١٤٨]

أتسحب الذيلين أم تميسُ [١٤٩]

لا بل تميس. إنها عروسُ [١٥٠]

وقد تنزهت العرب – ولاسيما قريش– من هذه المناكح حفظاً لحرمة الأرحام أن تُنتهك بالمناكح العاهرة، فتضعف الحمية، وتقل الغيرة، وهم أخص الناس بالمناكح الطاهرة[١٥١]، وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على مذهب النكاح (القائم اليوم)، فإن الله – تعالى – أستخص رسوله– صلى الله عليه وسلم– من أطيب المناكح، وحماه من دنس الفواحش، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة، واستخلصه من أكرم العناصر، وأمده

---

[١٤٥] عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤، (القاهرة، د.ت)، ص ٦٢١؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ١٠/ ٣٨. نسبها أبو الفرج إلى لقيط بن زرارة، فقال، دخنتوس بنت لقيط بن زرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس. وقد شككوا في صحة هذه الرواية. انظر: جواد علي، المرجع السابق ، ٥ / ٥٤٥.

[١٤٦] الألوسي، بلوغ الأرب، ٥٢/٢. عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤، (القاهرة، د.ت)، ص ٦٢١.

[١٤٧] عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص٧٢.

[١٤٨] المرموس، أي الخبر المكتوم الذي طُمس أثره. انظر: المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، (القاهرة، ١٩٩٥ م)، ص ٢٢٧.

[١٤٩] تميس، تتبختر. انظر: نفس المرجع أعلاه ، ص ٥٩٦.

[١٥٠] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ١٠ /٣٨.

[١٥١] الألوسي، بلوغ الأرب، ٢ / ٥٢.

بأوكد الأواصر، حفظاً لنسبه من قدح، ولمنصبه من جرح، لتكون النفوس له أوطا، والقلوب له أصغى، فيكون الناس إلى إجابته أسرع، ولأوامره أطوع. [١٥٢]

ومن الجدير بالذكر أن معظم تلك الزيجات وبأنواعها المختلفة هي مساوىء اجتماعية وليست نظاماً اجتماعياً أقره المجتمع، أو العرف في العصر الجاهلي [١٥٣].

تعدد الزوجات:

إن عادة تعدد الزوجات عند العرب في العصر الجاهلي أمر شائع، وخاصة بين القبائل في البادية، والقصد من ذلك هو الإكثار من الذرية، وكذلك توثيق العلاقات بين الأسر والقبائل مما يوثر على تقليص العداوات بينهم عن طريق المصاهرة [١٥٤]، كما كانوا يعتبرون القادر على تعدد الزوجات من أصحاب المكانة السامية بينهم، ولم يكن للتعدد حد أقصى بينهم، ولا ينفي ذلك أن يكون لإحدى الزوجات مكانة متميزة عن سائر الزوجات الأخريات، كزوجة رئيسة تحظى بمكانتها عند زوجها، وعند الزوجات الأخريات [١٥٥].

الطلاق:

وعن الفراق والطلاق عرف العرب القدامى الطلاق –كما عرفوا الزواج– وهو من المصطلحات القديمة عندهم [١٥٦]، ويذكرون أن أول من طلق هو إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –. [١٥٧]، فإنهم كانوا يطلقون النساء [١٥٨]، والطلاق يعني عندهم تنازل الرجل عن كل حقوقه التي كانت على زوجه ومفارقته لها [١٥٩] . وكان الطلاق يتم على ثلاث مرات متفرقات، فإذا طلق الرجل امرأته للمرة الأولى والثانية جاز أن يعود إليها، أما إذا طلقها للمرة الثالثة فلا تحل له إلا بعد أن تتزوج من رجل آخر يحل لها، وكانوا

---

[١٥٢] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢/ ٣، ٤

[١٥٣] عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، ط٢، (بيروت، ١٩٨١م)، ص٣٧ .

[١٥٤] الألوسي، بلوغ الأرب، ٦/٢

[١٥٥] محمد سلام زناتى، المرجع السابق، ص٧٢.

[١٥٦] محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ص٥٩ .

[١٥٧] محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المُحَبَّر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، اعتنت بتصحيحه إيلزه لختن شتيتر، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت) ص ٣١٠ .

[١٥٨] الألوسي، بلوغ الأرب ، ٢ / ٥٥.

[١٥٩] طلاق المرأة، بينونتها عن زوجها، وامرأة طالق .. وطلاق النساء لمعنيين، أحدهما حل عقدة النكاح، والآخر بمعنى التخلية والإرسال. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٢٢٦.

يشترطون عليه أن يطلقها بعد العقد، فتعود إلى زوجها الأول [١٦٠] ، وهذا الشائع لديهم، وهو ما يعرف بطلاق التفرقة، حيث يمكن الرجوع عليه بعد ذلك [١٦١]، وهناك أنواع أخرى، ومنها طلاق الظهار، وفيه تحرم المرأة على الرجل تحريماً مؤبداً، وهو أشد أنواع الطلاق تحريماً، ولا رجعة فيه، وطلاق الإيلاء، وهو القسم على ترك المرأة لزمن ومدة محددة قد تكون شهور أو سنة، والهدف تأديبها[١٦٢]، كما عرفوا طلاق الخلع، وهو أن تطلق المرأة زوجها [١٦٣]، بمالها أو مال عشيرتها وهو عادة ما يكون قيمة مهرها [١٦٤] .

ولقد تعددت أسباب الطلاق عند العرب في العصر الجاهلي، فقد كان من حق المرأة أن تطلب الطلاق إذا افتقر زوجها أو إذا أصابه الهرم، وربما قام بعض النساء في الجاهلية من أصحاب المكانة الاجتماعية بتطليق أزواجهن دون أن يبدين الأسباب [١٦٥]. وكذلك من الأسباب التطاول على عشيرة الزوج، كما في حالة طلاق حسان بن ثابت لزوجه عمرة بنت الصامت التي عيَرته بأخواله، وفخرت عليه بالأوس [١٦٦]. وروي أن ماوية بنت غفزر طلقت زوجها حاتماً حين تخرق في كرمه [١٦٧] ومما قاله فيها حين لامته على كرمه أو إسرافه،

وقائلةٍ أهلكتَ بالجود مالنا

ونفسَك .. حتى ضر نفسك جودها

فقلت، دعيني .. إنما تلك عادتي

لكل كريم عادة يستعيدها [١٦٨]

فلما طال هجرها قال،

أماويَّ قد طال التجُّنب والَهْجرُ

---

[١٦٠] عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص ٨٠.

[١٦١] محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، ص٦١.

[١٦٢] عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق ، ص٤٣؛ حسين الحاج حسين، المرجع السابق، ص ١٣٠.

[١٦٣] أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ١٩٨.

[١٦٤] محمد سلام زناتي، المرجع السابق ، ص٨٥ .

[١٦٥] أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص٢٢٢.

[١٦٦] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ٣ / ٣٥٢ وما بعدها.

[١٦٧] نفس المرجع، ١٧ / ٢٩١.

[١٦٨] الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية ، ط١، (بيروت، د. ت)، ص ١٢٦.

وقد عذرتنا في طِلابكم العُذْرُ

أماوىَّ إما مانع فمبيِّــن

وإما عطاءُ لا ينهنهُ الزَّجْرُ [١٦٩]

وتعد قصة تطليق الأعشى [١٧٠] زوجته الهزّانية من القصص التي تداولتها المصادر الأدبية والمصادر التاريخية أيضاً [١٧١]، حيث كان الأعشى قد تزوج من امرأة، فرغب بها قومها عنه، فتهددوه إن لم يطلقها أن يضربوه، فقال،

أيا جارتا .. بيني فإنك طالقة

كذاكِ أمور الناس غاد وطارقة

فقالوا، ثَنّه، فقال :

وبيني فإن البين خير من العصا

وألا تزال فوق رأسك بارقة

فقالوا له، ثَلِّثْ، فقال،

وبيني حصان الفرج غير ذميمة

وموموقة فينا كذاك ووامقة [١٧٢]

وقد يكون لمكانة المرأة الأدبية في المجتمع الجاهلي أثره على وضعها الاجتماعي، وأحد أسباب طلاقها، فها هو امرؤ القيس يطلق امرأته أم جندب، وكانت تحظى بمكانة أدبية رفيعة في مجتمعها ، وجعلها امرؤ القيس حكماً لمبارزة شعرية بينه وبين علقمة بن عبــدة المعروف بـــ (علقمة الفحل)، حيث طلبت منهم، قول شعرا يصفان فيه الخيل علـــى روىً

---

[١٦٩] أبو عبادة الوليد بن عبيد (البحتري)، ديوان الحماسة ، ضبطه واعتنى بفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعى ، ط٢، (بيروت، ١٣٨٧هـــ / ١٩٦٧م)، ص ١٤٥.

[١٧٠] هو أبو بصير ميمون، الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكري، أحد فحول شعراء الجاهلية، والمتكسبين بالشعر منهم، وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل، وكان يسكن أرض اليمامة في قرية تسمى (منفوحة) قال الشعر وأجاده وذاع صيته، ومدح الملوك والأجواد، ومنهم المناذرة، وملوك نجران، حتى طمع في جوائز كسرى، فرحل إليه ومدحه، وله شعر غزير، وقصائد مطولة، وهو أحد المكثرين في وصف الخمر، وعرَّب في شعره كثيراً من الألفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس، ولشعره حلاوة ورنة في نفس سامعه، حتى سمى صناجة العرب. انظر: طه حسين وآخرون، المنتخب من أدب العرب، ص ٣١.

[١٧١] محمد بن حبيب، المُحَبَّر، ص ٣٠٩ وما بعدها؛ الألوسي، بلوغ الأرب، ٢ / ٤٩ ؛ جواد علي ، المرجع السابق ، ٥ /٥٤٩.

[١٧٢] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، ٨ / ٨٠.

وقافية واحدة، فلما أنشداها جميعاً قالت لامرىء القيس، علقمة أشعر منك، فزجرها قائلا لها، ما هو بأشعر مني، ولكنك له وامق (عاشقة) فطلقها [١٧٣].

وقد يكون للوالدين سبباً في طلاق زوجات أبنائهم، فهذا عبد الله بن عجلان النهدي من شعراء الجاهلية المتيمين، كان قد تزوج من امرأة جميلة تدعى هند وعاشرها سبع سنوات، ولم ينجب منها، فطلب منه أبوه تطليقها فرفض لشدة حبه لها، وظل أبوه منه ذلك حتى تمكن مع رهط من شيخ الحي وقنيناته، وقد أسكروه أن يطلقها رغم حبه لها، وفيها يقول :

ألا أبلغا هنداً سلامي وإن نأت فقلبي بها مذ شطت الدار مدنف [١٧٤]

كما عرفت نساء العرب العزل فها هي النوار زوجة حاتم الطائى تعتزله لكثرة جوده على الناس و تفضيلهم على أهله، وفيها يقول حاتم:

مهلا نوار أقلى اللوم والعزلا ولا تقولى لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه مهلاً، وإن كنت أعطي الجن والخبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة أن الجواد برى في ماله سبلا

ولا تعذليني في مال وصلت به رحماً، وخير سبيل المال ما وصلا [١٧٥]

ومن سنن العرب في العصر الجاهلي أنه لم يكن للنساء عدة يعتددنها عند الطلاق، وفي بعض الحالات ، كانت المرأة المتوفى عنها زوجها تقعد بعده سنة، ومع ذلك فقد ولد منهن عدة على فرش أزواجهن من أزواجهن الأولين، فمن أولئك أن (سعد) بن زيد مناة بن تميم تزوج الناقمية، وهى حامل من معاوية بن بكر بن هوازن، فولدت – على فراش سعد– صعصعة ، فلما مات سعد منعه بنوه ميراثه ، فلحق بأصله، وفيه قال المخيل:

كما قال سعد لردُ يقود به ابنه كبرتُ، فجنِّبني الأرانب صعصعا

وقال شُريح بن الأحوص :

تمناني ليلقاني لقيطٌ أعامِ، لك ابن صعصعة بن سعد

---

[١٧٣] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٢٢٤–٢٢٥ .

[١٧٤] ناصر بن سعد الرشيد، سوق عكاظ: تاريخه ونشاطاته وموقعه ، ط١، (١٣٩٧هـ–١٩٧٧م). ص ١٠٨–١٠٩.

[١٧٥] ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ١/٢٥٠ .

وكذلك ربيعة بن عاصم بن جزء بن عبدالله بن عامر بن عوف بن عُقيل، كانت أمه من جعفى، فكانت تحت الفغار الجعفي وهو هبيرة بن النعمان، فطلقها وهى حامل بربيعة ، فتزوجها عاصم فولدت بعد ثلاثة أشهر على فراشة، فخاصمه فيه الفغار إلـــى عمـــر بـــن الخطاب– رضي الله عنه –، فقضى بربيعة للفغار بقول أمه إنه من جعفى [١٧٦] .

مظاهر مرتبطة بالزواج عند العرب في العصر الجاهلي.

المجون عند العرب (الزنا) :

كان أشراف العرب يتجنبون الزنا ويذمونه، ففي وصية لدريد بن الصمة جاء فيها، إياكم وفضيحة النساء، فإنها عقوبة غد، وعار أبد، يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها، ولا يزال لازماً ما عاش له عارها، كما روي أن الحرث بن عبد المطلب، كان في وفد لعبد المطلب على بعض ملوك حمير، وكان نديماً له، وأن زوجة الملك فتنت بجمال الحـــارث فعشـــقته، فراسلته، فرد عليها أنه محصن من الزنا، ولا يخون نديمه، فألحت عليه، فكتب إليها :

لا تطمعي فيما رأيت فإنني　　عف منادمتـــي عفيف المئزر

أسعى لأدرك مجد قوم سادة　　غمروا فطفن البيت عند المشعر

فأفنى خيالا واعلمي أنى امرؤ　　أربى بنفسي أن يعير معشرى

فغضبت لرده فدست له السم فمات بمكة، كما روي عن السيدة أسماء بنت أبي بكر– رضي الله عنهما– أنها قالت، سمعت زيد بن عمرو بن نفيل، في الجاهلية وهو مسند ظهـــره إلـــى الكعبة يقول، يا معشر قريش إياكم والزنا، فإنه يورث الفقر [١٧٧]. ومن المفارقات في تاريخ العرب في العصر الجاهلي أن هناك من كان يستبيح الزنا ويتفاخر به، حيث كانت ظـــاهرة الزنا موجودة في المجتمع العربي في العصر الجاهلي ، فهذا الحرث بن أبى شمر الغساني إذا أعجبته امرأة ووصفت له، بعث إليها واغتصبها نفسها، فوقع بامرأة فأتاه أبوها فقال له،

يا أيها الملك المخوف أما ترى　　ليلاً وصبحاً كيف يختلفان

هل تستطيع الشمس تأتى بها　　ليلاً وهل لك بالمليك يدان

---

[١٧٦] ابن حبيب، المُحَبَّر، ص ٣٣٨.

[١٧٧] جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، أخبار النساء، (القاهرة، ٢٠٠٦م)،ص ١٢٣–١٢٤ .

فاعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأنك ما تدين تدان [١٧٨]

وكان بعض الشعراء يتفاخرون بها، ومن أولئك امرؤ القيس، الذى كان يتفاخر بذلك ويصرح بها في شعره واصفاً رحلته الى مخدع معشوقته، وكيف كان يدب إلى حرم الناس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء محالاً على حال

فقالت، سباك الله إنك فاضحي ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت، يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي إليك أو أوصالي[١٧٩]

التشبب بالنساء المتزوجات:

لقد تفشت ظاهرة التشبب بالنساء المتزوجات، لدى بعض شعراء العرب، وأصبحت من الأمور الظاهرة، وخاصة النساء المشهورات بجمالهن وهيبتهن، وقد كان امرؤ القيس، والمنخل بن عبيد بن عامر والمعروف بـ (المنخل اليشكري) [١٨٠] ، من أبرز أولئك الشعراء المتشببين بالنساء، حيث أشارت المصادر إلى تشبب المنخل، بهند أخت عمرو بن هند[١٨١]، وفيها يقول،

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في يوم المطير

ويقول أيضا :

ما شفى جسمى غير حبك فاهدئي عنى وسيرى

يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير

وأحبها وتحبنى ويحب ناقتها بعيري

كما تشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر [١٨٢]، وربما نسب أبناء النعمان إليه [١٨٣].

---

[١٧٨] جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، أخبار النساء، ص ١٢٢.

[١٧٩] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٤١/١-١٤٢ .

[١٨٠] المنخل بن عبيد بن عامر (المنخل اليشكري) قتله عمرو بن هند انظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٤١٢/١ .

[١٨١] عمرو بن هند ملك الحيرة وكان لقبه (مضرد الحجارة)(٥٥٤-٥٧٤م) وأمه هند ابنة الحارث الكندي وعمه الشاعر امرىء القيس كان شديد البأس قوي الشكيمة، وقد هابته العرب. انظر: توفيق برو، المرجع السابق ، ص ١٣٣.

[١٨٢] النعمان بن المنذر(النعمان الثالث) ملك الحيرة (٥٨٠-٦٠٥ م) والملقب بـ أبي قابوس كان وثنياً وتنصر، واشتهر بميله للشعر والشعراء. انظر: توفيق برو، المرجع السابق، ص١٣٥

وتشبب النابغة الذبياني بالمتجردة، ووصفها بقصيدة طويلة، وصف فيها كامل جسدها، وكانت سبباً في ملاحقة النعمان له، ثم عفا عنه ومما جاء فيها :

وإذا لمست لمست أخثم جاثماً متحيزاً بمكانه ملء اليد [١٨٤]

ومن الأهمية بمكان الإشارة أن العرب اعتبروا كل نكاح لا يتم بعقد وصداق زنا، وما يدفع للعاهرات فهو أجر مقابل إشباع الشهوة، فهو زنا، لأن فيه وطء الرجل لامرأة – لا تحل له – بقصد الاستمتاع، ويسمى سفاحاً.لأنه بمنزلة الماء المسفوح بلا حرمة [١٨٥] ، ووضعوا جزاء على الأفعال التي تمس الشرف والعرف واعتبروها بمثابة جريمة، ومنها الزنا ، والسفاح، والاعتصاب، و التعرى على مشهد من النساء أو العكس، وكذلك التقبيل لغير الزوجة، أو ملازمة أحد أفراد القبيلة لامرأة من نساء العشيرة بغير حق وجه شرعي[١٨٦].

حرم النساء من الإرث:

إن من الظواهر الهامة في تاريخ العرب في العصر الجاهلي هو حرم الإرث على نسائهم، كما شمل ذلك التحريم بناتهم ، وصغار أولادهم وجواريهم، وربما استثنوا من ذلك التحريم بعض أبنائهم القادرين على حمل السلاح، وكان لهم بطولات ببعض مالهم [١٨٧]. ولم يكتفوا بذلك، بل نرى بعض القبائل تجعل المرأة كالمتاع يورث، إلا أنها لم تكن ظاهرة في جميع القبائل العربية، بل أن بعض القبائل أعطت النساء الحق في الإرث [١٨٨] .

الغيرة على النساء:

ومن الجدير بالذكر أن العرب كانوا يغارون على نسائهم، ويحرصون عليهن، وخاصة في غزواتهم، وأن الذود عن اعراضهم أغلى عندهم من المال والنفس والولد، ولذلك

---

[١٨٣] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/ ٤١١-٤١٢ .

[١٨٤] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١/١٧٢-١٧٣.

[١٨٥] يعتبر الزنا من أقدم الظواهر الاجتماعية التي رافقت البشرية، وتختلف النظرة إليه باختلاف الجماعات واختلاف مفاهيمها الأخلاقية المستمدة من طبائعها وتقاليدها، وهو عند بعضها مباح، وعند بعضها إساءة مغتفرة، وعند البعض الآخر جريمة فاحشة. انظر: عبد السلام الترمانينى، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

[١٨٦] محمد سلام زناتى، المرجع السابق، ص ١٩٠ .

[١٨٧] جواد علي، المرجع السابق، ٥/٢٧٤ .

[١٨٨] محمد سلام زناتى، المرجع السابق، ص ٩٧.

كانوا يصحبون نساءهم في غزواتهم وحروبهم، ويجعلونهم في مؤخرة الجيش، خشـيت أن يقعوا في أيدي أعدائهم، وهم في المقدمة يستميتون في القتال حتى لا تقع نساؤهم في الأسر، ولا يعني أن النساء لم يشاركن في خدمة ذلك الجيش، ويقفن موقف المتفرج، بل كن يقمـن بتمريض الجرحى وتشجيع المحاربين، وكانوا أشد ما يكونون في تأليب الفارين من القتال، وحث المحاربين على القتال والصبر في وجه العدو، وعادة ما يصاحب ذلك أناشيد يرددنها النساء على الرجال لحثهم على الصبر في القتال فها هي امرأة من بني عجل تنشد مستحثة الرجال:

إن تَهزموا نعانق ونفرش النمارق

أو تُهزموا نفارق فراق غير وامق [١٨٩]

اعتزال المرأة الطامث:

ومن الظواهر المقيتة التي صاحبت الحياة الزوجية عند العرب في العصر الجاهلي، هو جعل المرأة الحائض في عزلة كاملة طيلة فترة الحيض (الطمث)، حيث يفرضون عليها العيش في مكان خاص، وتمنع من تناول الطعام في جماعة [١٩٠]، كما روي عن الإمام الطبري :[١٩١] في تفسيره لقوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } ﴿٢٢٢﴾ [١٩٢] . إن أهل الجاهلية كانوا لا تساكنهم حائض في بيت، ولا تؤكلهم في إناء، فجاء الإسلام فحرم فرجها ما دامت حائضا وأحل ما سوى ذلك .أي قصر جانب العزل على معاشرتهن جنسياً .

محبة الأطفال وتدليلهم:

ولعلي من أجمل صور الدالة على ترابط الواقع الأسرى في المجتمع الجاهلي هي تلك الصورة الجميلة التي تصف حب العرب للأبناء صبيان، وبنات، وتدليلهم، وهـي ظـاهرة جديرة بالذكر، وإن دلت على شيء، فإنما توثق على تواجد الترابط الأسري لدى العرب في العصر الجاهلي، وأن الأطفال في ذلك العصر نالهم حظ من العناية، والتكريم، والمحبة .

---

[١٨٩] توفيق برو، المرجع السابق، ص٢٦٨.

[١٩٠] محمد سلام زناتى، المرجع السابق، ص٢٦٦

[١٩١] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن،

[١٩٢] سورة البقرة الآية :٢٢٢ .

فهذا الزبير بن عبد المطلب يرقّص ابنته أم الحكم مشبهاً إياها بالظبي فيقول :

يا حبذا أم الحكم كأنها ريم أحم [١٩٣]

والأنثى التي كان يبغض أن يُبَشَّرَ بها، هي نفسها التي تنشر البهجة بابتسامتها البريئة وحركاتها الطفولية، لذلك لا تعجب حين يرقّص أحدهم ابنته قائلاً :

كريمـــة يحبـــها أبوهـــا

مليحة العينين، عذباً فوها

لا تحسن السب وإن سبوها [١٩٤]

وكانت الأمهات ينشدنا الشعر وهن يرقصن أطفالهن ، وكانوا يسمونها أغاني المهد، أو أغاني ترقيص الصبيان، ومن أشهرها ما قالته الشيماءبنت الحارث وهي تـــرقّص أخاهـــا محمداً– صلـــى الله عليـــه وســـلم – في بادية بني سعد وهو طفل حيث كانت تقول:

يا رَبَّنَاَ أَبْقِ لنا محـــــمداَ

حتى أراه يافعاً وأمـــرداَ

ثم أراه ســـيِّداً مســـــوَّداَ

واكبتْ أعاديه معاً والحُسَّداَ

وأَعْطِـــهِ عِزاّ يدومُ أبداَ [١٩٥]

ومن ذلك أيضاً قول منفوسة بنت زيد الخيل وهي ترقّص ولدها:

أشبه أخي أو أشبهن أباكـــــا

أما أبي فلن تنـــــال ذاكـــا

تقـــصر عن منـــاله يداكـــا[١٩٦]

---

[١٩٣] أحمد سويلم، أطفالنا في عيون الشعراء، ط٢، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ص ١١٤.

[١٩٤] أحمد سويلم، المرجع السابق، ص ١٣ .

[١٩٥] لطفي أحمد بابكر، و د.فوزي محمود خضير، المدخل إلى أدب الأطفال، (جدة، ٢٠٠٧م)، ص١٢-١٣ .

[١٩٦] أحمد محمد الحوفى، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص١٦٢.

الخاتمـــة :

نخلص مما فات إلى أن هناك خلطاً وإهمالاً لحق بتـــاريخ العـــرب فـــي العصـــر الجاهلي، وخصوصاً ما يتصل بتاريخ المرأة العربية وخاصة ماهية الزواج، فقد كانت للمرأة مكانتها عند الرجل الجاهلي ، على عكس ما تداولته الدراسات الحديثة من أن العرب فـــي جاهليتهم ، كما هم بعد أن أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام، بأن المرأة لم تحظ عندهم باحترام وتقدير والتمتع بكامل حقوقها، ونجد أن هناك من الأقلام العربية والإسلامية التي تماشت مع هذه المعتقدات، بقصد أو بغير قصد فتارة من أجل إظهار التغيرات والإقرارات الجزرية التي جاء بها الإسلام لصالح المرأة من العصر الجاهلي، وتارة تماشياً مع نظرة الغرب المتحاملة على العرب في عصريهما الجاهلي والإسلامي.

وفي الحقيقة فقد تجلى لنا في هذه الدراسة، ومـــن خـــلال المصـــادر التاريخيـــة، والمصادر الأدبية أن المرأة في العصر الجاهلي حظيت بمكانة رفيعـــة، ونالـــت احتـــرام مجتمعها، مع وجود حالات نادرة تصور أوضاع مذرية للمرأة، وهي التي نالت شهرتها في التاريخ، رغم أنها حالات نادرة عند قياسها بالمكانة الحقيقية لوضع المرأة عند العرب فـــي العصر الجاهلي.

ومن خلال دراسة الزواج عند العرب في العصر الجاهلي، والعـــادات والتقاليـــد المرتبطة به، والذي يمثل أبرز ملامح دراسة العلاقات الاجتماعيـــة لتوثيـــق دور المـــرأة والأسرة في العصر الجاهلي، يتضح أن العرب قد عرف أنواع مختلفة للزواج، أولها الزواج القائم إلى اليوم الذي فيه خطبة و صداق (مهر) يدفع للعروس، يتفاوت تقديره من شـــخص لشخص ومن قبيلة لقبيلة ، وفيه إيجاب وقبول، ورضى ولي الأمر، تكرمت فيه البنت، وربما صارت مصدراً لثراء أبيها في كثير من الأحيان بسبب مهرهـــا، وكانـــت هنـــاك صـــفات يستحسنها العرب في اختيار الزوجة والمرأة التي سيبنى بها بيت الزوجية، كما كانت هناك صفات مذمومة في المرأة، تواصى بها العرب حفاظاً على مكتسباتهم الاجتماعية ، وقد عبر الأدب العربي عن تلك الصفات نثره وشعره .

كما عرف العرب أنواع متعددة من الأنكحة في الجاهلية، وهي أنواع مستهجنة مثـــل نكاح الضيزن حيث يتزوج الرجل امرأة أبيه، ونكاح المحارم، ونكاح المتعة، وهو التـــزوج إلى أجل، ونكاح الخدن، حيث تتخذ المرأة صديقاً لها في السر، ونكاح البدل الذي يتبادل فيه رجلان زوجتيهما، ونكاح الشغار وفيه يزوج الرجل ابنته أو أخته لرجل، ويتزوج ابنـــة أو

أخت الآخر بغير مهر، ونكاح الاستبضاع وكان الرجل إذا أراد أن يكون له ولد نجيب أو شجاع يطلب من زوجته أن تذهب إلى من اشتهر بذلك، فتعاشره، ولا يقربها زوجها حتى تحمل من الآخر، ونكاح المضامدة حيث تعاشر المرأة غير زوجها في زمن القحط لتضمن الطعام، ونكاح الرهط، وفيه يدخل مادون العشرة من الرجال، فيطئون المرأة، فإذا أنجبت نسبت ولدها إلى واحد منهم فلا يمكنه الامتناع عن الاعتراف به أبدا له، ونكاح الظعينة، وهي المسبية أو الأخيذة، ونكاح الإماء حيث كان من حق العربي أن يتزوج من أمته، ونكاح صاحبات الرايات وهن العاهرات، كما عرف بعض رجال القبائل زواج المحارم، وهي من العادات الشائعة عند الفرس المجوس، واعتقد بها بعض العرب، مع تعفف الكثير منهم عن هذه العادة السيئة .

كما عرف عرب العصر الجاهلي التعداد، وهو تعداد غير محدد، أما الطلاق فقد عرفه العرب القدامى، وكان عندهم مثلما أقره الإسلام، فإذا طلق الرجل امرأته للمرة الأولى وللمرة الثانية جاز له أن يعود إليها، أما إذا طلقها للمرة الثالثة فلا تحل له إلا بعد أن تتزوج رجلاً آخر يحل لها، فإذا طلقها الثاني جاز لها أن تعود للأول ، بالإضافة إلي أنواع أخرى من الطلاق كطلاق الظهار الذي لا رجعة فيه، وطلاق الإيلاء، وهو طلاق يحدد بفترة زمنيه قد تكون شهور أو سنين، والهدف منه تأديب المرأة، كما عرف العرب في العصر الجاهلي الخلع، فقد تجعل العصمة في يد المرأة فتخلع زوجها متى شاءت، وتعود إلي بيت أبيها، وربما دفعت المال من أجل تحقيق انفصالها بمالها أوبمال أبيها، وخاصة النساء صاحبات المكانة السامية .وقد تعددت أسباب الطلاق عند العرب، ما بين الطلاق بسبب إهانة عشيرة الزوج، أو بسب الفقر أو العجز، وكذلك بسبب مطلب عشيرة الزوجة، وربما كان الطلاق بأمر الوالدين، أو بأسباب الغيرة .

كم عرف العرب عادة ارتبطت بالزواج ومنها، التشبب بالنساء المتزوجات، والزنا، وكل هذه الأعمال كان ينكرها معظم العرب، والغيرة من الرجال على زوجاتهم، كما كان من بعض عاداتهم، عرض المرأة نفسها للزواج وفق طرق معينة، كما جاء في متن البحث، أو العكس، فكان بعض النساء يمتنعن عن الزواج ، حيث كن يرين فيه عبودية للرجل، كما صحبت مراسم الزواج عند العرب في العصر الجاهلي إقامة الأفراح، وهي على عاتق العريس يقيمها ويدعوإليها مهما كانت حالته الاقتصادية .

كما دلت الدراسة على تواجد ترابط أسرى ظاهر، وثقته المصادر الأدبية من خلال وصف تدليل الآباء، والأمهات، لأطفالهم.

لقد سجل المؤرخون كل هذه العادات المرتبطة بالزواج، وعبر الشعراء عنها، فكـــان الأدب مصاحباً للتاريخ ومعبراً عن حوادثه، بل لقد كان الشعر أحياناً سبباً في بعض الزيجات مما يدل على أن الأدب كان جزءاً لا يتجزأ من حياة العرب، وكان مصوراً للحياة الاجتماعية العربية أصدق تصوير.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

- القرآن كريم.
- أبو الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى (مسلم)، صحيح مسلم (الجامع الصحيح) دار الفكر (بيروت د. ت) .
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٣م).
- أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، ديوان الحماسة ، ضبطه واعتنى بفهارسه الأب لويس شيخو اليسوعى ، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، (بيروت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- ابن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي، المُحَبَّر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، اعتنت بتصحيحه إيلزه لختن شتيتر، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت) .
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د. ت).
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت ١٩٨١م .
- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني(القاضي الإمام)، شرح المعلقات العشر، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر بيروت ١٩٨٤م .
- أحمد بن محمد بن عبد ربه :العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قمحيية ، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د .ت).
- أحمد محمد الحوفى ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٢م.

- ----------، المرأة في الشعر الجاهلي ، القاهرة ١٩٥٤م .
- الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية ، بيروت (د. ت).
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، الطبعة الثالثة ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م .
- أحمد سويلم، أطفالنا في عيون الشعراء، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٨٧م .
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ١٩٨١م.
- التبريزى، شرح الحماسة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ١٩٩٧م.
- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .
- جمال الدين أبى الفرج بن الجوزي، أخبار النساء، دار مصر للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٦م .
- جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، بيروت ، مكتبة النهضة، بغداد ، فبراير ١٩٨٠م.
- حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الإسلام ، الإسكندرية، ١٩٦٨ م.
- سليمان بن الأشعث (أبو داود)، سنن أبي داود ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت (د.ت) .
- شكران خربوطلى، سطور منسية في تاريخ الحجاز، الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام ، دار رسلان للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٥م .
- طه حسين، أحمد الإسكندرى، أحمد أمين، على الجارم، عبد العزيز البشرى، أحمد ضيف ، المنتخب من أدب العرب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، ٢٠٠١م .
- عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١م .
- عبد السلام الترمانينى، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، دراسة مقارنة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة (٨٠) ، الكويت ذو القعدة ١٤٠٤هـ / أغسطس ١٩٨٤م .
- عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق محمود شاكر، ط٣، ١٩٧٧م .

- ----------، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، (د-ت) .
- لطفي أحمد بابكر، فوزي محمود خضر، المدخل إلى أدب الأطفال، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع ، جدة، ٢٠٠٧م .
- محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، مكتبة الحياة بيروت (دـــ ت).
- محمد بن منيع بن سعد، الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- محمود شكري البغدادي الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت) .
- محمد بن إسماعيل (البخاري)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـــ /١٩٨١م .
- محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- محمد سيد كيلاني، مختار الشعر الجاهلي ، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٠هـــ / ١٩٧٠م.
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية (د.ت).
- محمود عبد الصمد زكريا، ديوان هذيل ، دار السفير ، مصر ، ١٩٩٤م.
- محمد مبروك نافع :تاريخ العرب، ط ٢ ، دار العالم العربي، القاهرة، المجلد الأول ، ١٩٤٩م .
- محمد سيد كيلاني ، مختار الشعر الجاهلي ، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٣٩٠هـــ - ١٩٧٠م .
- محمد سلام زناتى، نظم العرب في الجاهلية والإسلام، القاهرة، ١٩٩٢م .
- محمد كامل ليلة، المجتمع العربي، دار الفكر العربي، دمشق، ١٩٦٢م .
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٩٥ م.
- ناصر بن سعد الرشيد، سوق عكاظ ٠ تاريخه ونشاطاته وموقعه ، ط١، ١٣٩٧هـــ-١٩٧٧م.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، تحقيق عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠، م.

المرجع المعربة

- إيمرى نف، المؤرخون وروح الشعر، دراسة لإسهام الأدب والعلوم الأدبية في تدوين التاريخ منذ عهد فولتير ، ترجمة توفيق إسكندر ، الطبعة الثانية، دار الحداثة ، بيروت، ١٩٨٤م.

المراجع الأجنبية

- Hitti, Philip, History of Arabs, London, 1964.
- Nicholson, R. A., History of Arabs, Cambridge 1988.